# المنطق السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

...-...-...-...

{قل للذين ءامنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون}

المغفرة هنا ليس لأنه يريد أن يرحمهم، لكن لأنه يريد أن يعاقبهم. فالمؤمن إن لم يغفر للكافر في الدنيا بل عاقبه، فستكون عقوبته في الدنيا تخفيفاً عنه في الآخرة، لكن إن غفر له في الدنيا أُخذ الكافر بما كسب تامّاً كاملاً في الآخرة. فقوله {يغفروا} أمر، ما مقصده؟ {ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون}

وجه آخر: {يكسبون} غير "يكتسبون" الدالة على السيئات، مثل "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"، وهذه الإشارة تدلّ على أن المقصود بالقوم هم الذين ءامنوا، فيكون المعنى: {يغفروا} للكل حتى الذين لا يرجون أيام الله فضلاً عن الذين يرجون أيام الله ضمناً فهو من قبيل "لا تقل لهما أفّ" فيدل على ما فوق الأفّ في السوء ضمناً، كذلك هنا لما أرشدهم إلى المغفرة للذين {لا يرجون أيام الله} دلّ على الذين يرجون من باب أولى. فما مقصد هذه المغفرة؟ مقصدها {ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون} كقوله في غيرها "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم"، فكما تعامل عباد الله يعاملك الله، فإن كانت تريده أن يجزيك بالمغفرة منه فاغفر أنت لعباده، "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" والإحسان فوق العدل، فكما فالعدل مع المسيء معاقبته والإحسان أن تغفر له.

على الوجه الأوّل، المغفرة عقوبة للكافر. على الوجه الثاني، المغفرة رحمة للمؤمن.

...

الاستخارة القرآنية:

١-قَبِّل القرءان وقل وأنت تقبّله {رب أعوذ بك من همزات الشياطين} ثم ضعه على جبهتك وقل وهو على جبهتك {وأعوذ بك ربّ أن يحضرون}. واجعل عليه جبهتك وأنفك.

٢-قل: بسم الله الرحمن الرحيم.

٣-إن ربّك هو الفتّاح العليم.

٤-سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

٥-ما شاء الله لا قوّة إلا بالله.

٦-اللهم خِر لي واختر لي.

٧-اللهم صلِّ وسلِّم على النبي وآلِهِ.

٨-ثم قل {بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم} وانفخها على يدك اليسرى.

٩-وامسك المصحف بيدك اليمنى وافتح على موضع وضع اصبعك اليسرى على موضع ما.
١٠-هذا الموضع هو الآية التي تخاطبك.

...

{إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الأنثى}

ما العلاقة بين الإيمان بالآخرة وتسمية الملائكة تسمية الأنثى؟ الأنثى مثل الذكر، أوصاف البدن، يعني مستوى الخلق. لكن الملائكة من عالَم النفس، مستوى الجعل، والجعل آخرة بالنسبة للخلق كما قال "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور"، فالشياطين من الظلمات، والملائكة من النور، وكلاهما من عالَم الجعل، الأعلى بالنسبة لعالَم الخلق.

لذلك قال بعدها {ما لهم به من علم...فأعرض عن مَن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا.} فالذين يسمّون الملائكة تسمية الأنثى هم الذين لا يريدون إلا الحياة الدنيا. فلمّا نظروا في الدنيا فوجدوا الذكورة والأنوثة، وصفوا الملائكة بالأنوثة قياساً على أجسامهم الطبيعية.

من هنا نعرف لماذا أوجس إبراهيم خيفة حين رأى أيدي ضيفه لا تصل إلى الأكل. لأن الأكل شأن الجسم، ومَن جاءه له صورة الخلق، فلمّا لم يأكلوا فكأنه قال في نفسه "هؤلاء إما شياطين من الظلمات وإما ملائكة من النور" لكن لمّا كان من شأن أهل الله هضم أنفسهم لم يرى نفسه أهلاً لتزوره الملائكة، فأوجس منهم خيفة حذراً أن يكونوا من الشياطين، فقالوا له {لا تخف}. لاحظ {أوجس منهم خيفة} فالخيفة كانت {منهم} تحديداً.

على هذا الأصل نفهم بقية الآيات.

{وما لهم به من علم إن يتّبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً}

الظنّ هو التفكير في أمر الآخرة العليا والنفس والروح وشؤون الغيب بالذهن الدنيوي والتفكير القياسي الذي يقيس الآخرة على الدنيا والنفس على الحسّ.

{فأعرض عن مَن تولّى عن ذكرنا} لأنه يستعمل الفكر الدنيوي والقياس الباطل للغيب على الطبيعة، فلا فائدة من الكلام معه لأنه لن يفهم إلا في ضوء ما حدّ به عقله. {ذكرنا} إذن يتعلّق بالآخرة، هو أمر نفسي في حقيقته. و{ذكرنا} هو العلم والحق، وهو العلم النازل ليكشف أمر الآخرة.

{ولم يُرد إلا الحياة الدنيا} لو تولّى عن الذكر مع كونه يريد الآخرة، وتولّى لشبهة طرأت عليه أو نفرة من صورة الذكر وليس من حقيقته، فشأنه غير هذا الشأن. هذه الآية عن المتولّي عن الذكر تماماً، بدون نظر.

وجه آخر: الآية لم تقل "تولى عن ذكرنا لأنه لم يرد إلا الحياة الدنيا". فهنا إذن صنفان من الناس، كلاهما يوجد أمر بالإعراض عنه. الصنف الأول {تولّى عن ذكرنا}، الصنف الآخر {لم يرد إلا الحياة الدنيا} فكأنه قال "فأعرض عن من..لم يرد إلا الحياة الدنيا". فالذكر للمَثَل الأعلى، والإرادة للدار القصوى. بمعنى: انظر في الناس، ما هو مثلهم الأعلى وما هي الدار القصوى عندهم. ما هو المثل الأعلى الذي يريدون التقرّب إليه، وما هي الدار القصوى التي يريدون بلوغها، ما هو الكمال الذي يسعون تجاهه "فأين تذهبون". فمَن لم يكن مثله الأعلى هو الله، وداره القصوى هي الآخرة العليا النفسية الأبدية، فأعرض عنه.

{ذلك مبلغهم من العلم} العلم متعلّق بالوجود. فالدنيا وجود فلها علم، والآخرة وجود فلها علم. فالجاهل بالنسبة للآخرة ليس بالضرورة جاهلاً بالنسبة للدنيا. وكذلك قد يكون الإنسان جاهلاً بالنسبة للدنيا لكنه عالِم بالنسبة للآخرة. لذلك قال قبلها "ما لهم به من علم" ولم يقل: ما لهم علم، مطلقاً، بل "به" يعني بأمر الملائكة تحديداً. يستحيل أن يوجد مخلوق جاهل جهلاً مطلقاً، كما أنه يستحيل أن يوجد المعدوم عدماً مطلقاً أو الممتنع الوجود امتناعاً مطلقاً. العلم وجود، فكل موجود له علم، "كل قد علم صلاته وتسبيحه" "إن من شيء إلا يسبّح بحمده". من هذا الوجه: يؤخذ علم كل درجة وجودية من علماء هذه الدرجة. فالدنيا تؤخذ من علماء الدنيا، والآخرة تؤخذ من علماء الآخرة. "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" أهل الذكر هنا هم أهل الآخرة، أهل النفس وتعقّل الغيب ومعرفة الآيات الإلهية، لقوله {تولّى عن ذكرنا} فهم أهل الإقبال على ذكر الله والذين دارهم القصوى التي يسعون تجاهها هي الدار الآخرة " أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار"، فأبناء الدنيا ولو كانوا ما كانوا فليسوا من أهل الذكر. وبهذا الاعتبار، الذين يعرفون قوانين الشريعة كقوانين فقط، ويعرفون الألفاظ وهمّهم تحصيل المعاش في الدنيا وتدبير أمر السياسة فقط بما يتخيّلونه الدين، فهؤلاء ليسوا من أهل الذكر بحال من الأحوال، بل لعلّهم أخسّ حتى من أهل الدنيا الذين هم أهلها، لأن أهل الدنيا حقاً طلبوا الدنيا بالدنيا لكن هؤلاء "الفقهاء" طلبوا الدنيا بالدين فسيفسدون الدنيا ويفسدون الدين وسيضلّون أنفسهم والناس معهم.

{إن ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله} فسبيل الله إذن هو الآخرة، النفس، الذكر، العلم الغيبي والحق الموحى به.

{وهو أعلم بمن اهتدى} هؤلاء أهل الآخرة والسالكين في سبيل الله تجاهها.

{ولله ما في السموات وما في الأرض} قال قبلها "كم من ملك في السموات". فالملائكة من أهل السماوات، وحيث أن السموات مخلوقة فالملائكة لها خلق بهذا الاعتبار، لكنه خلق سماوي لا أرضي. لكن حيث أن السموات هي مكان عروج النفس بعد الموت "لا تفتح لهم أبواب السماء" فالسماء تدلّ على عالَم النفس المجرّد. بهذا الاعتبار، تكون السماوات مثلاً على عالَم الآخرة، كما أن الأرض مثل على عالَم الدنيا. فالسماء ظاهر والنور باطن، والأرض ظاهر والظلمات باطن. في الظاهر، السماء الدنيا لها زينة هي الكواكب، والكواكب تمثّل خلق الملائكة. فالمخلوقات السماوية ظاهرها ظاهر الملائكة وباطنها باطن الملائكة.

(قد يتعارض مع هذا الاستنباط ما قلناه من قبل أن الملائكة غير مخلوقة بل مجعولة. فليُتأمل).

...

دعاء امرأت فرعون {رب ابن لي عندك بيتاً في الجنّة} هذا للروح. {ونجّني من فرعون وعمله} هذا للنفس. {ونجّني من القوم الظالمين} هذا للجسم والدنيا ودار الطبيعة.

أما الأول {عندك} "ما عند الله باقٍ". "إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته" "لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون". وقالت {رب ابن لي عندك} لأن "الروح من أمر ربي". وقولها {بيتاً} من قوله في النور "في بيوت".

أماالثاني {فرعون وعمله} من قوله "يوم تجد كل نفس ما عملت..وما عملت من سوء".

أما الثالث {القوم الظالمين} من قوله لآدم وزوجه "فتكوناً من الظالمين" وهو "اهبطوا منها جميعاً".

...

من المهم دراسة الآية في سياقها.

مثلاً، قال تعالى في آية {اذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول} فنهى عن الجهر وحصر الذكر بالنفس أي السرّ. لكن في آية أخرى قال {لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغِ بين ذلك سبيلاً} فأمر بعدم الجهر ولا المخافتة بل التوسّط بالتالي خرج عن الحصر في الذكر السرّي. ما الحلّ؟

حلّها أن تقرأ الآية الأولى في سياقها، فإنها بدأت أيضاً بحرف الواو {واذكر ربك في نفسك} فانظر ما الذي قبلها وارتبطت هي به، وستجد أنه يقول {وإذا قُرئ القرءان فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون. واذكر ربك في نفسك..ودون الجهر من القول} فالمعنى: حين تكون

في مجلس يقرأ فيه غيرك عليك القرءان، فحتى إن أردت ذكر ربك بسبب حال أو خاطر يرد عليك بسبب القراءة، فلا تجهر بالقول بل اذكره في نفسك سرّاً فقط، وهذا مفهوم لأنك في جماعة وإذا جهر كل واحد سيتشوش المجلس وحتى إن جهرت أنت والقارئ يقرأ القرءان عليك سيتشوش القارئ ولو كنت وحيداً.

فالذكر السرّي ليس فضيلة في ذاته، بل حين يُقرن بقراءة القرءان جهراً عليك.

...

من أسوأ تحريفات القرءان، ما تجده عند أصحاب "الإسلام السياسي"، الذين لديهم عقائد ومذاهب في أذهانهم ويريدون استخدام أي شبهة آية ولا شبهة آية حتى لتبرير رأيهم.

من ذلك مثلاً، حين تجدهم في الغرب يقولون بأن القرءان ينهى عن "المواعدة" يعني بين الرجل والمرأة، لأنهم يريدون محاربة هذا النمط من الصحبة لأغراضهم الخاصة، فحيث أن كلمة "المواعدة" هي الترجمة العربية لكلمة Dating الانجليزية والتي تعني اللقاء بين الأصحاب أو العشّاق ولو خارج مؤسسة الزواج الرسمية، فيأتي أحدهم ويريد أن يبرر هذا الرأي "الإسلامي" بزعمه، فيذهب إلى أي آية يرى فيها شبهة ومشابهة ويقول "الله نهى عن المواعدة في كتابه حين قال {ولا تواعدوهن سرّاً}". فتصبح {ولا تواعدهن} عندهم مساوية لعدم ال Dating، لماذا؟ لتشابه اللفظين واعتبار المعنى واحداً.

لكن هل الآية فعلاً تنهى عن المواعدة؟ لنقرأ الآية.

{ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم}

أقول: هذه الآية ٢٣٥ من سورة البقرة، تأتي بعد الآية التي تتحدث عن المرأة التي توفى زوجها، "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا" ثم ذكر العِدّة "أربعة أشهر وعشراً". ثم قال {ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم} يعني امرأة توفي زوجها، ما ومتى يستطيع الرجال التفكير والتقدّم لخطبتها للتزوج بها؟ هنا قال {لا جناح عليكم فيما عرّضتم من خطبة النساء} فأجاز التعريض، {أو أكننتم في أنفسكم} فأجاز التفكير، {علم الله أنكم ستذكرونهن} فهذا القدر مسموح به.

ثم قال {ولكن لا تواعدوهن} لم يقف عند هذا الحدّ. بل وضع قيوداً. {سرّاً} بالتالي المواعدة علناً جائزة. {لا تواعدوهن سرّاً} ليست مثل "لا تواعدهن" نقطة. كلا. الآية {لا تواعدوهن سرّاً} بالتالي المواعدة علناً خارجة عن النهي. فالذي يعتبر {لا تواعدهن} دليل على النهي عن المواعدة بين الرجل والمرأة مطلقاً، يرد عليه ما سبق من أنها محصورة في المرأة المتوفى عنها

زوجها والتي لا تزال في فترة عدّتها بالتالي المرأة الحرّة من ذلك خارجة عن الموضوع بالكلية، هذا أوّلاً، ويرد عليه ثانياً وهو الأهمّ في هذا السياق كون النهي هنا ليس عن المواعدة مطلقاً بل عن المواعدة {سرّاً} تحديداً وبالتالي المواعدة علناً جائزة، فإذا خرج معها في مكان علني وجلسا بين الناس فلا شيء عليهما.

ثم يزيد الأمر فيضع استثناءاً حتى للنهي عن المواعدة السرّية، فيقول {إلا أن تقولوا قولاً معروفاً} بالتالي، حتى المواعدة السرّية جائزة، بشرط أن تكون مواعدة ليست فيها أي فعل كالجماع مثلاً وما يشبهه ويقترب منه من باب "تلك حدود الله فلا تقربوها"، فالفعل هو المحذور منه هنا لأنها لا تزال في العِدّة، وأما المواعدة ولو سرّاً للقول فقط وقول المعروف تحديداً فخارجة عن النهي.

من باب الفهم: هذه القيود موضوعة على المرأة التي في عدّتها لحكم منها، أن المرأة المتوفى عنها زوجها قد تكون حاملاً فلابد من استبراء الرحم، فلو واعدها شخص سرّاً فقد يفتح هذا باباً من الدعوى ضدّهما (وإن كان هذا السبب ضعيف لأن ذلك راجع إلى شهادة الشهود الأربعة كما في دعوى الزنا) لكن من باب الاحتياط قد يرفض البعض هذا. وحكمة أخرى مشهودة هي أن المرأة المتوفى عنها زوجها قد تنفعل نفسياً للخسارة وتقبل بأول رجل أو تقبل برجل كزوج جديد من باب التعويض النفساني بدون وضوح عقلي واختيار واعي من باب ردّ الفعل فكانت فترة الأربعة أشهر وعشراً موضوعة ليس فقط لاستبراء الرحم والذي يمكن أن يتم بثلاثة أشهر بل بشهر واحد أو بشهرين على الاحتياط، لكن من باب تنظيف النفس وتجديد الوعي والاستقرار الذهني، حتى إذا اختارت بعد ذلك الدخول في نكاح جديد يكون عن وعي وفعل وليس عن انفعال وردّة فعل مما يكون قصير الأجل وسيئاً في العادة حسب التجربة.

لكن الذي يهمّنا هنا هو أنه ليس في الآية لا من قريب ولا من بعيد إثبات لفكرة النهي عن لقاء الرجال والنساء والمواعدة بينهما، ولو سرّاً بالشروط المذكورة في الآية.

هذا مثال والأمثلة كثيرة على تحريفات الفقهاء في القديم والدعوجية في الحديث لكتاب الله لأنهم يريدون إثبات ما في أذهانهم وليس قراءة كتاب الله حقاً أيا كانت نتيجة قراءته.

...

من أعظم التقصير في الدعوة إلى الله ودينه: عدم اشتغال المسلمون كما ينبغي بالدعوة في المكسيك خصوصاً وأمريكا اللاتينية عموماً. تحديداً في المكسيك، الذي هو رأس أمريكا اللاتينية. بلد فيه أكثر من ثمانين مليون إنسان، لا يوجد فيه إلا نحو ٢٠٠ ألف مسلم، مع أن فيه حرية تعبير وحرية دين. توجد مقومات كثيرة لتركيز الدعوة إلى الله في المكسيك. من أهمها التشابه الكبير بين المكسيكان والعرب، إلى حد مخيف أحياناً وفي التفاصيل الصغيرة أيضاً.

من دراستي لهم، أرى أن تدينهم ونفسيتهم تناسب الإسلام العربي بنحو أيسر وأعمق من مناسبته للدين الشائع عندهم الآن وهو الكاثوليكية. لا أريد الدخول في التفاصيل، لكن لابد من ترجمة كتاب أحد أكبر كتّاب المكسيك، أوكتافيو باز، الحائز على جائزة نوبل لكتابه labyrinth of solitude. لابد من ترجمة هذا الكتاب، وعلى الدعاة دراسته وتشكيل الدعوة إليهم بناء على ما كشفه من عمق النفسية وأنماط التدين المكسيكي العام، مع دراسات أخرى.

...

قرأنا {قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يُهلك إلا القوم الظالمون} فقالت صاحبتي عن {هل يهلك إلا القوم الظالمون} ما معناه: هذا دليل ردّ ما يقوله المتعصّبون الذين يريدون فرض الدين على المجتمع بالإكراه بحجّة أننا نخشى أن يعمّنا الله بعذاب، فالآية تبيّن أن {عذاب الله} لا يُهلك به إلا {القوم الظالمون} أي لا يعمّ بل يخصّ الظالم دون غيره.

أقول: قوله تعالى {اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أن الله شديد العقاب} لا تعارض الفهم السابق. من أربعة وجوه على الأقلّ.

الأول، أنها تقول {فتنة} بينما تلك تقول {عذاب الله}. فاختلف الموضوع ولو من وجه.

الثاني، وهو الأهمّ، أن العذاب قد يعمّ يأتي إذا كان {أكثر} الناس لا يؤمنون، مثل قوله {وما كان أكثرهم مؤمنين} في سورة الشعراء. بالتالي، إذا وجدت أقلّية غير مؤمنة فلا يأتي العذاب. الآية تقول {هل يهلك إلا القوم الظالمون} فقال {القوم} وسمّاهم باسم {الظالمون}، مما يعني أن أكثرهم ينطبق عليهم هذا الاسم مثل "إن قومي اتخذوا هذا القرءآن مهجورا" ولم يتخذه كل قومه بل أكثرهم فسمّى الكل باسم الأكثرية اعتباراً لحكم الأكثرية في الأمور القومية.

الثالث، وهو الأساس، لا يتعارض القرءآن مع بعضه البعض. {لا إكراه في الدين} وكل الآيات الكثيرة جداً في هذا الباب تمنع الإكراه وتجيز الاختلاف والكفر والإعلان به أيضاً في الدنيا والحساب على الله.

...

ما بين الذين يقولون "لا إسلام بلا سياسة" والذين يقولون "لا سياسة في الإسلام"، يقع الحق.

أصحاب "لا إسلام بلا سياسة" من قبيل الإخوان وما أشكالهم. هؤلاء إيمانهم ينبع من طموحهم السياسي، وما يشعرون به من انجذاب نحو الدين يختفي معظمه وراء الطموح السياسي، ولذلك هو إيمان قشري سطحي سخيف وميت غير منفتح على الله تعالى والكشف

والروح، نوع من العصبية الجاهلية في صورة دينية. يتبع هؤلاء الذين يقولون "الخلافة حراسة الدين وسياسة الدنيا" ويجعلونها مركزية للدين، وهذه على التحقيق عين الفرعنة، هذا ما يريدونه، كما قال فرعون "ذروني أقتل موسى وليدع ربّه إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد"، فتماماً كما قالوا "الخلافة" (هذا لقب، الحقيقة "الفرعنة") هي "حراسة الدين" (كما قال فرعون "أخاف أن يبدّل دينكم")، و"سياسة الدنيا" (كما قال فرعون "يُظهر في الأرض الفساد"). ومن هنا يعطون لخليفتهم صلاحية قتل الناس على الدين، وعلى الكلام، وعلى الإتيان بما يخالف ما هو وهم عليه في أمر الدين والدنيا (كما قال فرعون "ذروني أقتل موسى"). اللعنة مصاحبة لكل أنصار هذه "الخلافة"، ولكل دعاة "الدولة الإسلامية"، ولكل أصحاب "الحكم بالشريعة". هذه كلها ألقاب لمطامح فرعونية خالصة.

أصحاب "لا سياسة في الإسلام" وهم عادة من الأكاديميين الحداثيين، يذهبون في الطرف المقابل من التعصّب، ويردّون على أصحاب "لا إسلام بلا سياسة" (هذه الشعارات تلخيص منّي لموقفهم) بحجج ضعيفة بل باطلة جزماً، وحتى باعترافهم. مثلاً: في كتاب " الإسلام الحركي" من سلسلة "الإسلام واحداً ومتعددا" يقول المؤلف ص ٤٣ بعدما نقل كلاماً لحسن البنّا مؤسس حزب الإخوان المسلمين {وهكذا يصبح الدين منطلقاً للعمل السياسي والاجتماعي وموجّهاً للحياة العامة بعد أن كان في حقيقته موجّها لعلاقة المؤمن بالله وبالآخرين في إطار الأخلاقيات الإسلامية العامة} أقول: هذا المؤلف وغيره يعترضون على أمثال البنّا بأنهم يحتكرون الكلام باسم الإسلام الحق أو يتكلّمون "بوثوقية مطلقة" عن الدين كأنهم يعرفون حقيقته الجوهرية وليس من باب الرأي القابل للأخذ والرد، وما أشبه من عبارات. لكن لاحظ المؤلف نفسه كيف قال عن الدين {بعد أن كان في حقيقته} تأمل {كان} يعني هذا المؤلف يعرف ما الذي {كان} عليه الدين {في حقيقته} إذن هو يعرف حقيقة الدين وما كان عليه، ويدعي أن البنّا وأشباهه قد جاءوا بتصوّر جديد عن الدين مخالف لما كان عليه ومخالف لحقيقته، فأي دعوى أعرض من هذه من هذا الأكاديمي الحداثي ! ويكمل، ويبيّن للناس ما الذي كان عليه الدين في حقيقته حسب زعمه فيقول {موجّهاً لعلاقة المؤمن بالله وبالآخرين في إطار الأخلاقيات الإسلامية العامة} هذا المؤلف أجنبي تماماً عن الإسلام وتاريخه وتراثه وممارسة المسلمين له شرقاً وغرباً قديماً وحديثاً، المؤلف لعلّه يتحدث عن المسيحية بل ولا حتى المسيحية في الحقيقة ينطبق عليها هذا الكلام خلافاً لما يتوهمه أكثر الناس لكن ليس هذا موضوعنا الآن. أدنى نظرة على ظاهر القرءان وما يتضمّنه من أحكام تتعلّق بجميع المجالات، منها الاقتصادي "أوفوا الكيل" ومنها جنسي "أتأتون الرجال شهوة" ومنها قضائي "إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" ومنها سياسي "أمرهم شورى" "إن الله بعث لكم

طالوت ملكاً" وعسكري "قاتلوا" إلى أن يصل حتى إلى الاستئذان عند دخول البيوت وأوقات الاستئذان "ثلاث عورات لكم"، إلى ما شاء الله مما تجده ليس فقط {إطار الأخلاقيات الإسلامية العامة} بل أحكام عملية مفصلة تفصيلاً. فإذا دخلت في الأحاديث النبوية والممارسة الفقهية الدنيوية للمسلمين فستجد الأمر أشدّ تفصيلاً وتعقيداً وتدقيقاً ولا يخلو من ذلك ولا أمر سياسي ولا اجتماعي. نعم، يستطيع أن يقول المؤلف وله وجهة معتبرة حينها: نظام السياسة الاجتماعية في الإسلام مخالف لما يدّعيه الإخوان. كأن يقول: هؤلاء يريدون الإكراه والإسلام ليس فيه إكراه، أو يقول: الإسلام فيه حرية كلام وهؤلاء ضدّ حرية الكلام، أو غير ذلك، حينها يمكن الأخذ والردّ. أما الادعاء بأن الدين {في حقيقته} كان توجيه إيماني وأخلاقي عامّ، بدون بُعد سياسي واجتماعي فيدلّ على غيبة تامّة عن مصادر الإسلام عند المسلمين وواقعهم العملي عبر التاريخ.

وهؤلاء مثل أولئك، يدّعون بأنهم عرفوا شيئاً لم يعرفه أحد قبلهم، ولا حجّة لهم على ذلك، ولو جاءوا بحجّة لسلّمنا لهم بالجديد المبتدع، لكن لا حجّة إلا عبارات وهمية. كقول نفس المؤلف في ص ٤٤ {إن دعوة حسن البنّا والإسلاميين عموماً هي دعوة ماضوية متطرّفة في العودة إلى القديم، مستغنية عن منتجات العقل والحضارة البشرية، معتبرة أن ما في كتب التراث صالح لزماننا كما كان صالحاً لمن قبلنا. ويمكن القول إن نظرتهم للدين وللمجتمع وللسياسة هي نظرة لاتاريخية، تحصر نفسها عن وعي أو عن غير وعي في ركن ضيّق من الإسلام وحضارته هو ركن الماضي البعيد الذي تجاوزته عجلة الزمن ولم يعد حيّاً إلا في المتخيّل الجمعي للإسلاميين ومن تأثر بهم} أقول: نعم، الإخوان وأشكالهم كلهم ألوان مختلفة من السلفية فعلاً، وفيهم نفس الأمراض التي في أولئك بدرجات مختلفة فيما بينهم. لكن الادعاء بأن ما جاءوا به {تجاوزته عجلة الزمن} فهذا تعبير وهمي بحت، وهو مصادرة على حق التكلّم باسم الزمن، فكما أن السلفي يحتكر الكلام باسم الله والإسلام، فالحداثي يحتكر الكلام باسم الزمن والتاريخ (في موضع آخر يتحدّث المؤلف عن شيء يسمّيه "منطق التاريخ" ويدّعي أن الإخوان وأشباههم يخالفونه). في العالم العربي، التطرّف في كل مكان، تطرّف من المتدينين وتطرف من الملحدين، من الإسلاميين ومن أعداء الإسلاميين. فما هي {عجلة الزمن} بالضبط؟ أي هراء هذا. أوّلاً لا يوجد {عجلة} للزمن، وإلا فتعال أيها المادي وأرنا أين {عجلة} الزمن. ثانياً، الزمن لا يقتضي شيئاً ولا يمنع شيئاً، فكل أنواع العدل والظلم والجهل والعقل يسعها الزمن الواحد، وإذا استقرأنا أحوال الناس وأفكارهم في زماننا هذا فسنجد مثل وأكثر من جميع أنواع التوجهات التي كانت في الماضي وزيادة. ثالثاً، هذا المؤلف يعتبر {الزمن} هو ما يتخيّله هو عن الحضارة الغربية، وحتى هذه العبارة وهمية لأنه لا توجد "حضارة غربية" واحدة، ولا يزال

الناس في "الغرب" (اسم وهمي آخر يشمل في الواقع أطيافاً بل أحزاباً بل خنادق مختلفة متصارعة تصارعاً قاتلاً لا مساومة فيه)، وهو يعتبر ما يميله عليه سيده الغربي أيا كان أو ما يقرأه ويتخيله عن سيده الغربي هو {عجلة الزمن} الذي مَن يخالفها فقد {تجاوزته عجلة الزمن} ومَن لم يخالفها، لا أدري، لعله يدور كالجرذ داخل عجلة الزمن. الإسلامي يكذب على الله ويفتري في الدين، والحداثي يكذب على الزمن ويفتري على التاريخ والحضارة. لا تذهب بعيداً. انظر في العالَم اليوم، العربي والأعجمي، في باب الاجتماع والسياسة فقط، وارقب الاختلافات. لا تزال توجد أنظمة ملكية مطلقة يرأسها أناس يدعون أنهم ظل الإله في الأرض، عندك من بابا الفاتيكان إلى ملك السعودية إلى المرشد الأعلى الإيراني إلى ملك المغرب، وإلى ملكيات مقيدة مثل ملك بريطانيا "حارس العقيدة" البروتستانتية وهكذا، وبقية ملوك أوروبا وغيرها. انظر في أمريكا وحدها وارقب الاختلافات بينهم في الأمور السياسية والاجتماعية، وستجد أن بعضهم يطالب ويحقق ما هو أسوأ مما كان عليه الناس في "العصور الوسطى الظلامية" وبعضهم لديه ما لم يحلم به البشر لعلهم إلا فيما يتعلق ما بعد الموت وهذا أيضاً متحقق، لديك ولايات تريد التحكم في جسم المرأة وولايات تحرر المرأة، ولايات تريد إجازة زواج المثليين وولايات تريد منع زواج المثليين وتعتبره عصيان للإله وسبب للعنة وحلول المصائب على الأمّة، لديهم مَن يدعو إلى إلغاء الضرائب أو تخفيفها أو رفعها بشدّة كل هذا موجود، وهلمّ جرّاً. دعونا من العموميات. ما الذي يريده هؤلاء الإخوان وغيرهم الذين يزعم المؤلف أن ما لديهم مبني على نظرة {لا تاريخية}، أيا كان معنى هذه العبارة، ما الذي يريدونه فعلياً؟ أيا كان، ستجد مثله أو ما هو أشدّ منه موجوداً أصلاً في الأرض اليوم، أو على أبعد تقدير يمكن أن يوجد وبسهولة نسبية. يريدون سلطة مطلقة للحاكم في أمر الدين والدنيا، هذا موجود الآن في السعودية وغيرها، والسعودية داخل {عجلة الزمن} كما لا يخفى على مَن عينه مبصرة أو أذنه واعية. يريدون فرض أحكام فقهية معينة، مثل ماذا؟ أيا كان، لن يكون أسوأ أو أصعب وجوداً مما هو قائم في قوانين الناس اليوم. ضرب أمثلة واقعية وتفصيلية عن الذي يريدونه ستكشف إن كان أمراً ممكن الوقوع أو لا. لنقل أنهم يريدون توحيد العالم العربي والإسلامي في دولة واحدة جامعة، حسناً، هذا أيسر واقعياً من توحيد ٢٧ دولة أوروبية مع كل الفوارق اللغوية والدينية والإثنية والثقافية والتاريخية وكل العدوات والمذابح الرهيبة التي لم يشهد مثلها التاريخ المعروف كله (مثال آخر على "عجلة الزمن") التي بينها حتى عهد قريب جداً عاشه جدّي وجدّك، أو حتى من إبقاء الوحدة الفدرالية ما بين الولايات الأمريكية مع اختلاف سكانها في معظم الأمور وشدّة التعددية والاختلاف فيما بينها والآن حتى مع عدوات جديدة ناشئة، بينما في العالم العربي والإسلامي لدينا مشتركات أكثر وأعمق وأحسن وأكبر وتصيب العقل

والعاطفة معاً على جميع الأصعدة. مثلاً، لنقل أنهم يريدون إنشاء حركات حربية جديدة توسيعة على مستوى العالم، فلنفرض هذا جدلاً، فهل هذا مستحيل الوقوع؟ قطعاً لا، أمريكا اليوم لديها نحو ٧٥٠ قاعدة عسكرية في بلدان مختلفة من العالم، فهل هذا أمر خارق للعادة أم هو مشهود محسوس. يريدون جبر الناس على مظاهر التدين، هل هذا مستحيل؟ قطعاً لا، السعودية تفعل هذا وكانت تفعله منذ عقود، إيران تفعله الآن، كما تفعله دول أخرى عكسياً أو جبر الناس على مظاهر عدم التدين كما فعلته تركيا عن قريب والدول الشيوعية والصين تفعله الآن مع الأويغور. لا يوجد اقتراح واحد، مهما كان متطرفاً، إلا ويوجد مَن يقوم بمثله أو ما هو أشدّ منه أو على أقلّ تقدير ما يقرب منه، الآن وفي هذا الزمن.

في المقابل، حين يقول الغنوشي كما ينقل عنه المؤلف ص٤٥ {الإسلام يرفض بشدّة المقولة الغربية "الفصل بين الدين والدولة"، إن الدولة في الإسلام خادمة للدين قائمة على حراسته وتنفيذ أمره ورفع كلمته في الدنيا} أقول: هذا الكلام العامّ الضبابي يخفي وراءه الفرعنة التي ذكرناها. فما هو واقع عبارة {الدولة خادمة للدين}؟ ما معنى {قائمة على حراسته}؟ ما معنى {تنفيذ أمره}؟ وأي دين بالضبط؟ وأي مذهب في الدين؟ وأي رأي في المذهب؟ وماذا سيحصل للمسلمين من أصحاب الرأي والمذهب أو لأصحاب الدين واللادين حين تختار الدولة خدمة وحراسة وتنفيذ ورفع كلمة رأي واحد من الدين على أنه الدين وحده وكلّه؟ من أهمّ ما يُضلّ به أصحاب "لا إسلام بلا سياسة" هو استعمال العبارات الفضفاضة التي تبدو ببادئ الرأي للعامّي أنها جميلة وحسنة ولا اعتراض عليها، من باب استعمال حيلة ذكر الإثبات الذي نفيه قبيح، مثلاً، إذا قلنا {الدولة خادمة للدين} فقد يبدو للذهن الساذج أنها كلمة جميلة بدليل أن عكسها قبيح لأن عكسها سيكون في ذهنه هكذا "الدولة عدوة للدين" أو "الدولة لا تبالي بالدين" فأي كلمة ستضعها ببادئ الرأي بدلاً من "خادمة" ستكون قبيحة ومؤذية لنفسية المحبّ والمؤمن بالدين. لكن إذا دققنا وسألنا: ماذا تقصدون بخدمة الدين؟ وغصنا في التفاصيل، سنجد القبح والقيح يخرج من أمعائهم الفاسدة. سيكون المعنى: الدولة بقوتها العسكرية والمالية ستجبر الناس على قول وفعل ما يناسب نسختها هي من الدين. فالدولة لغتها الإكراه، ولا تعرف إلا هذا، إما عنف على البدن أو على المال، وبهذه الطريقة تفرض قوانينها. فكيف ستخدم الدولة الدين؟ بالعنف على البدن والمال، ستقول لمن يخالف ما تقوله أو يفعل من الدين ما يخالف ما تفعله: سيصبك عنف في بدنك ومالك، ستقول له ما قاله فرعون للسحرة حين ءامنوا {آمنتم له قبل أن آذن لكم} ثم ستخرج نظريات المؤامرة {إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر} لخداع الجماهير "إن هذا لشيء يُراد"، ثم بعد ذلك يبدأ العنف {لأقطعن..لأصلبنكم} حتى يكونوا "عبرة" لغيرهم وإظهاراً لقوة الدولة الدينية {بعزّة فرعون إنا

لنحن الغالبون}. هذا ما ستجده في جميع الدول "الخادمة" للدين بالضرورة، بدرجة أو بأخرى، مهما ضعفت. كذلك حين نسأل: أي دين بالضبط ستخدمه الدولة؟ الإسلام. حسناً، أي إسلام؟ إذا كان من البسملة يوجد اختلافات كثيرة، فبأي رأي بالضبط ستأخذ الدولة؟ بل قبل ذلك، يوجد خلل منطقي في قولهم {الدولة خادمة للدين} لأنه على قولهم، الدين هو الذي يصنع الدولة، وعلى المتدينيين أن يصنعوا الدولة، بالتالي الدين هو خادم الدولة ابتداءً، ثم بعد ذلك يريدون من الدولة أن تخدم الدين، مما يعني أن الدولة ستخدم الدين الذي أنشأها، وحيث أن دين أصحاب الإسلام السياسي هؤلاء هو دين خاص يخالفهم فيه عموم المسلمين، بل لعلهم هم أنفسهم يختلفون في أمور كثيرة في دينهم، فالنتيجة ستكون حروباً دينياً بالضرورة، لأن الذين حاربوا لنيل الدولة سيطلبون الانتفاع بها (جاء وقت تقسيم الغنائم)، لأن هوية الدولة دينية فالاختلافات الدينية ستصبح كلها أسباباً لتعريض هوية الدولة للخطر وتجعلها غير مستقرة، وستجعل تحريف واستغلال الدين لتحصيل أغراض الدولة وسلطتها ومنافعها أمراً مشروعاً بحكم الأمر الواقع وهو النفاق وطلب الدنيا بالدين في أقبح صوره، وستعني أيضاً- وهو ما يخفونه وراء هذه المقولة القبيحة-أن الدولة (يعني، الأفراد الذين يحكمون) سيستغلّون موارد الدولة والناس الذين تحت حكمها لمصالحهم الشخصية وراء ستار الدين فمن يعترض عليهم سيصبح كافراً أو زنديقاً أو منافقاً يستحق العقوبة والقتل والحبس والتشهير وهكذا سيرجع الدين، كما هو الآن، مجرد سور لحماية مصالح الحكام. ثم تنقلب الأمور، وتأتي عصابة دينية أخرى تطلب الدولة، ويعاد تاريخنا الأسود الدموي من جديد في هذا الباب الجهنمي. إذن، لا تأخذ بالمجملات والعموميات والكليات في مسائل السياسة والاجتماع. هذه مسائل عملية تفصيلية دقيقة مخصوصة، حاكمهم إلى التفاصيل وقل {نبئوني بعلم إن كنتم صادقين} لمن يأتيك بحلال وحرام باسم الله تعالى {قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم}. يزعمون أن الإسلام جاء بالدولة التي يدعونها، حسناً، نبئونا بعلم، هذا كتاب الله فأرونا أين في كتاب الله هذه التفاصيل التي تزعمونها، مسألة مسألة، ودقيقة دقيقة، وقضية قضية، "وزنقة زنقة" !

...

قالت: هل الاستخاره القرانيه بدون صلاه ؟

قلت: نعم. أنا اعملها عادة بعد الصلاة، بعد كل صلاة من الخمس.

...

قال: قرأت لك منذ فترة مقال الصّلاة من كتاب الله كاملًا و مما فهمت ان الصّلاة القرآنيّة هي قراءة القرآن و ان الصّلاة الحركيّة ليست هي الاساس

لكنّي ما زلت أجهل الفرق بين قراءة القرآن و اقامة الصّلاة و قد كنت اظنّهما واحدًا مما فهمت، حتّى قرأت قوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"

و ذكر فيها الامر بقراءة القرآن و اقامة الصّلوة كأمرين مختلفين، فهل اقامة الصلوة هي الصلاة الحركية؟

ارجو التّوضيح

قلت: (فاقرءوا ما تيسّر من القرءان) هذه للتهجد. وهي قوله "ومن الليل فتهجد به نافلة لك)

لكن "أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر) هذه تتعلق بوقت محدد. فالقراءة في هذا الوقت اسمها "الصلاة". يعني: القراءة (لدلوك الشمس إلى غسق الليل) اسمها "الصلاة". القراءة عند (الفجر) اسمها "قرءان". قراءة نافلة الليل اسمها مجرد قراءة.

قال: في سورة النّور الآية ٥٨ قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"

هنا ذكر عند وقت الفجر أنّها صلاة. كيف افرّق بين قرآن الفجر و صلاة الفجر؟ هل يوجد فرق لغوي بين كلمتي صلاة و الصّلاة؟

قلت: نعم . في تلك الآية فرّق بين اسم الصلاة والقرءان. في هذه الآية قال "صلاة الفجر" كما قال هناك "قرءان الفجر" حتى نعلم أن الصلاة هي قراءة القرءان في وقت محدد. هذه القراءة المكتوبة في وقت. "الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا".

قال: سؤالي التّالي هل القرءان هو نفسه الذّكر ام يوجد اختلاف؟ ارغب بفهم الآية: "اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ". و الآية: "وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ".

أقول: القرءان {ذي الذكر} مثل "الله هو ذو القوة" فالله "ذو القوة" وذو أمور كثيرة أخرى. كذلك القرءآن {ذي الذكر} وذي أمور كثيرة أخرى. فالذكر سمة من سمات القرءان.

بالنسبة للآية، {اتل ما أوحي إليك من الكتاب} التلاوة معناها إما الاتباع بمعنى ليكن اتبع كتاب الله. وإما تلاوة الكلمات، وهي العمل الأول، فلابد من تلاوة الكلمات قبل فهم معناها. بينهما اتصال، فالاتباع يظهر بالتلفظ. التلاوة إذن، الاتباع والتلفظ بألفاظ الكتاب. ثم بعد ذلك قال {وأقم الصلاة} فالتلاوة هي المرحلة الأولى، لابد أولاً من التلفظ بالكلمات العربية، لكن بعد ذلك لابد من إقامة الصلاة وهي القراءة بتعقّل وفهم يعني أخذ المعاني من الكتاب المتلو، فقد يحرّك الإنسان لسانه بالألفاظ بدون تعقل وفهم فهذا ليس الصلاة المقامة، لذلك لاحظ أنه قال {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} فالصلاة المقامة هي التي تنهى، والنهي لا يكون إلا عند من يعقل معنى ما يقرأه حتى يأمره وينهاه. أما قوله {ولذكر الله أكبر} فالمعنى: الصلاة التي هي القرءان حينها تقيمها بالتعقل والفهم ستجد القرءان يأمرك وينهاك وستجد القرءان يذكّرك بالله، ففي القرءآن أمر وذكر، مثلاً حين تقرأ بتعقّل {لا تقربوا الزنا} فهذه الآية تنهاك عن فاحشة الزنا، حين تقرأ بفهم {لا تقتلوا النفس} فالآية تنهاك عن القتل، وهكذا ستجد في القرءان حين تقيمه في عقلك أمراً بالعدل والإحسان ونهيا عن الفحشاء والمنكر والبغي، فهذا القسم الأول من القرءان وهو الأحكام. لكن القسم الآخر هو {لذكر الله} فالقرءان أيضاً سيذكرك بالله، وهو الحق، فكل الحقائق التي في القرءآن تتعلق بالله تعالى وتجلياته في العوالم كلها، والذكر حظ الروح العقلي بينما الأمر حظ الإرادة العملية وتختص بالحياة الدنيا والأعمال الظاهرة، فأيهما أفضل النهي عن الفحشاء والمنكر أم ذكر الله؟ قال {لذكر الله أكبر} يعني ذكر الله في الصلاة المقامة أكبر من النهي عن الفحشاء والمنكر، لأن العقل أكبر من الإرادة، وما يتعلق بالله ذاته أكبر مما يتعلق بالناس والدنيا، فالأحكام العملية تزول بزوال الدنيا لكن ذكر الله ومعرفته والعلم بوحدته وأسمائه يبقى إلى الأبد فهو أكبر. فتصبح الآية هكذا: {اتلُ ما أوحي إليك من الكتاب} خذ المصحف واعرف كيف تتلو ألفاظه العربية، {وأقم الصلاة} تدبّر وتعقّل ما تلوته، وحين تفعل ذلك ستجد {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر} فانتهي عن ما نهاك عنه كتاب الله وداوم على ذكر ما ذكّرك به كتاب الله.

من مثلاً مثلاً قالوا لشعيب "أصلواتك تأمرك أن نترك ما ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء" فالصلاة تأمر بأمور تفصيلية تتعلّق بالعبادة وبالأعمال الدنيوية. {ما يعبد آباؤنا} تتعلّق بذكر الله، والتوحيد، والإلهيات. {نفعل في أموالنا} تتعلق بالدنيا والأحكام العملية والاجتماعية. فالصلاة تأمر وتنهى، وتذكّر بالله. وهذا شاهد آخر على أن {أقم الصلاة} لا تعني حركات بالجسم، فإن حركات الجسم لا تأمر ولا تنهى ولا تذكّر بالله بالذكرى النافعة الحقيقية، ومن هنا ترى الإنسان يقيم الحركات والألفاظ فقط عشرين سنة ولا هو تعقّل أمراً ولا نهياً ولا حصلت له ذكرى نافعة.

معنى آخر: {اتل ما أوحي إليك من الكتاب} هذه التلاوة بدون وقت محدد. التلاوة المفتوحة. لكن {أقم الصلاة} هي المتعلقة بوقت محدد "أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر". فالمعنى: اتلُ بدون وقت، وأقم في الوقت. فالأول مطلق، والثاني مقيد، وكلاهما نافع بإذن الله من جهتين.

...

علّقت على قراءة لصاحبي فقلت:

مصداق كلامك، قول فرعون "ما أُريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد". الرؤية والهداية. الرؤية تصورات نظرية، الهداية أحكام عملية. لكنه كما تفضلت يجبر الناس على ذلك بالإكراه. فلما خالفه موسى في رؤيته قال له "لأجعلنك من المسجونين". ولما خالفه السحرة في هدايته قال لهم "آمنتم له قبل أن آذن لكم...لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين".

بالنسبة لآية "بما كنتم تُعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون". جاءت بهذا الترتيب لأنها تتكلم عن صنفين من العلماء. الصنف الأول علمهم بتعليم الله والكشف من المجتبين، الصنف الثاني علمهم بالدراسة والفكر من المنيبين، قال "الله يجتبي إليه مَن يشاء ويهدي إليه مَن ينيب". فالمجتبى يُعلّم الكتاب كما علمه الله، المنيب يدرس الكتاب ليتعلم أمر الله. فالرباني إما مجتبى وإما منيب، أو هو جامع للوصفين وهو الحق. لأن النبي كل علمه كشفي، الحَبر كل علمه فكري دراسي، لكن الرباني وسط بينهما له علوم كشفية وعلوم دراسية، قال "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون..والربانيون والأحبار". ثلاثة طبقات. والآية التي ذكرتها حضرتك تتحدث عن الرباني، لذلك جمعت ما بين وصف النبي ووصف الحبر.

...

{يسأله مَن في السموات والأرض كل يوم هو في شأن} بعد السؤال، الجواب. والجواب من الله فعل وعطاء. فقوله {شأن} يعني فعل وعطاء. لذلك قال في أيام الخلق "في ستّة أيام" وهي ستّة شؤون، ستّة أفعال عطاء، {خلق، جعل، بارك، قدّر، أوحى ، زيّنّا}. حين تسأل الله فأنت في يوم، ليله سؤالك ونهاره إجابته لك وهو شأن خاص للهوية الإلهية تتجلى به لك. فمعرفتك بهويته تعالى على قدر أسئلتك له، "ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم".

...

مجرّد قولك "ربنا" أو "رب" مع قلب مؤمن بالتوحيد، كافٍ للدلالة على الله تعالى. لأن الربوبية هي لله وحده بالحقيقة، فلا داعي لتمييز اسم الرب من اسم رب غيره. الاسم موضوع للتمييز بين أشخاص الجنس الواحد، مثلاً تقول زيد أو فاطمة للإنسان حتى تميّز شخصاً من شخص، لكن إن افترضنا أنه يوجد جنس مخلوق لا يوجد له إلا شخص واحد في الوجود، فتسمية الشخص باسم الجنس-وإن احتمل نظرياً وجود أشخاص غيره-عمل صالح للدلالة عليه، فتقول "الإنسان" مثلاً إن لم يوجد إلا إنسان واحد، لكن بعد وجود أشخاص كثر من جنس الإنسان وجب التمييز. من هنا مثلاً قول الله للنبي "يا أيها النبي" و "يا أيها الرسول"، على اعتبار أنه في الحقيقة لا يوجد إلا نبي ورسول واحد، أو على اعتبار أنه لا يوجد في زمانه إلا هو، سواء نظرت بالعين العرفانية أو بالعين التاريخية، فالمعنى معقول. لكن لما تعددت أشخاص الأنبياء والرسل بعد ذلك وجب التمييز بينهم بالأسماء. أما الله تعالى، فهو الرب وحده لا شريك له، ولولا ما ادعاه الجهلة من الشركاء لما احتاج الأمر إلى تمييز الرب باسم خاص. لذلك في أدعية أنبياء التوحيد {رب} و {ربنا} مجرّدة.

...

قال ما حاصله: لماذا عند الوهابية، شيوخاً وأتباعاً، نزعة الاستعلاء على مَن يتجادلون معه حتى إن كانوا لا يفهمون المسائل ولا يعرفون الاختلافات التي فيها ولا حججها.

قلت: هذا كما قال الله عن سحرة فرعون {قد أفلح اليوم مَن استعلى}. فالاستعلاء عندهم وسيلة لخداع أنفسهم والناس بأنهم على {الطريقة المثلى}. وهي بعد ذلك نوع من التشابه بينهم وبين معبودهم الذي يقول {أنا ربكم الأعلى} وللعابد نصيب من معبوده قلّ أو كثر.

قالت ما حاصله: ما الذي يطلبه الوهابية ولماذا يخضعون للطاغية السعودي؟ هل يطلبون المناصب أم الأموال أم هم يخافون منه ولذلك يقومون بما يقومون به؟

قلت: كل ذلك حق. كما قال الله عن سحرة فرعون {أئن لنا لأجراً} فقال لهم {نعم وإنكم لمن المقرّبين}، ثم قالت السحرة الذين باشروا السحر مع موسى بعد إيمانهم {وما أكرهتنا عليه من

السحر}. فهذه ثلاثة أصناف من البواعث. باعث الأجر، وباعث القرب وهو المنصب، وباعث الإكراه. ويصدق هذا على طبقات مختلفة منهم، فالغني يريد القرب، والمتوسّط يريد الأجر، والجندي يعمل بالإكراه، وإن كانت الثلاثة تتداخل من جهة أخرى بدرجات مختلفة.

...

قالت ما حاصله: هل سريان سنّة الله والأمثال الكلّية المحيطة يمنع حرية الاختيار؟
قلت: كلّا. النفس حرّة في اختيار المثل الذي تريد الدخول فيه. ولو كانت الأمثال تقتضي الجبر لما قال الله {وضربنا لكم الأمثال} للذين ظلموا وسكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم. فلو كان لكل نفس مثل واحد محتّم عليها لما كان لضرب الأمثال فائدة ولكان عبثاً تعالى الحكيم سبحانه عنه.

النفس أمامها صراط مستقيم، وعلى يمين الصراط وشماله طرق، كل واحد منها مثل سوء، وأمثال الحسن في الصراط المستقيم. الذي يختار الدخول في أحد تلك الطرق اليمينية والشمالية فحينها سيقع عليه جبراً مقتضى ذلك المثل، فالجبرية تأتي هنا أي وقوع الآثار عند حدوث الأسباب كما ربطها الله تعالى مثل غرق فرعون ونجاة يونس عند التسبيح وهكذا.

...

{أرض الله} القرءان. {الأرض} الدنيا والآخرة. القرءان يكشف سنن الله التي ستظهر في الدنيا والآخرة، فمن سار في أرض الله ونظر في الأمثال وعواقبها فسيعرف حين ينظر في الدنيا وفي نفسه ما عاقبة كل أمر هو فيه إن استمرّ عليه.

...

العزلة نعمة مغبونة في العصر الحديث. كانت العزلة في الماضي شأناً خاصّاً بالأنبياء وأشباه الأنبياء وكبار الفلاسفة والمتأملين والمبدعين، بينما كان أكثر الناس في جماعات وطوائف مترابطة أيا كان الرابط بينها، لذلك كانت العزلة والتوحّد أمراً غريباً يدلّ على نوع من التخاطب مع الإله أو الملائكة أو الجنّ أو نحو ذلك من أمور الغيب، أو يدل على الجنون المحض والتوحّش، فعلى أية حال كان أمراً نادراً يدلّ على تغيّر في العقل إما تغيّر نحو النور أو تغيّر نحو الظلمة، وفي الاثنين سيكون خروجاً على المألوف والإتيان بالبديع والجديد والغريب والعجيب. أما في هذا العصر، فصار أكثر الناس في عزلة بحكم الفردية المفروضة على المجتمعات بسبب الأنظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الجديدة. لكن هذه عزلة غير ناشئة عن باعث من القلب، كما كان الحال في الماضي، بل هي عزلة مفروضة من الخارج وبحكم الأمر الواقع، ولذلك نشأت ولا زالت تنشأ أنواع من الأمراض الذهنية والاجتماعية المختلفة بسببها. العزلة بحد ذاتها محايدة، فمن أحسن فيها رفعه الله وشرّفه، ومَن لم يحسن

كانت أوّل عذابه الأليم. فنّ العزلة والتوحّد هو أهمّ ما يجب نشره اليوم وتعليمه للناس، مؤمنهم وكافرهم، فالكل بحاجة إليه. والخوف من العزلة أيضاً يؤدي بالكثيرين في هذا العصر إلى أنواع من الاختيارات السيئة والأفكار القبيحة. فما بين العزلة المفروضة المكروهة والخوف منها سقط ما لا يعلم بعدده إلا الله من النفوس في الهاوية والعذاب الأليم، ولا يزالون يسقطون. لكسر أنظمة الطغيان الدينية والسياسية كان لابد من نشر الفردية، لكن نشر الفردية مع انعدام وجود الأفراد بالروح والعقل أي بدون الفردية الباطنية أدّت إلى ما الناس فيه اليوم بشكل عام. الحرّ العاقل فرد، لكن ليس كل فرد حر عاقل. الكثير من الناس يطلب العبودية ويرتاح للجهل، لذلك يكره الفردية وما يتعلّق بها وأساسها ووطنها الأصلي الذي هو العزلة والتوحّد كأساس للعيش. المعتزل حتى إن عاشر الناس وكانت له عائلة من مائة إنسان فإنه لا يخسر عزلته ولا يكسر توحّده، ولا يتمسّك بهم ويرعاهم خوفاً من العزلة بل له مقاصد أخرى في ذلك، ولا يكسر قيمه ولا كرامته من أجل معاشرة أحد. وهذا يضاد تماماً حال أكثر الناس، فهؤلاء قد يكسرون كل قيمهم وكرامتهم وحتى يكفرون بربهم من أجل البقاء في الاجتماع والكثرة والشعور بالاتصال الطائفي والترابط العصبي. المجتمع الحديث نعمة للعارفين، نقمة للجاهلين. كما كانت المجتمع القديم نعمة للجاهلين، ونقمة للعارفين. {وتلك الأيام نداولها بين الناس} {والعاقبة للمتقين}.

...

قالت: كيف الواحد يكون من عباد الله القليل الشاكرين كيف تكون كيفية شكر الله الخاصة. وكيف ممكن الواحد يكون في اتصال دااااائم مع الله. ممكن تستفتحلي.

قلت: الشكر أن تنظري لكل نعمة عندك في روحك مثل العلم وفي نفسك مثل الحياة وفي جسمك مثل الصحة وفي كل نعمة صغيرة أو كبيرة، ثم تتذكري أنها من الله لحظة بلحظة، ولا تأخذيها كأنها مُسلَّمات موجودة، بل تخيلي عدم وجودها ثم اشكري الله على وجودها.
بعد ذلك أن تعملي بكل نعمة بحسب أمر الله فيها، فلا تتجاوزي حدوده فيها. فعقلك تستعمليه لمعرفة الحق والقول به بدون تعصب ولا تعامي ولا تحريف. وهكذا في كل نعمة.
الشكر مزيج من الذكر والعمل الصالح. تذكري أنها من الله وتعملي فيها بحسب أمر الله.
طريق الشكر: دراسة القرءان وتلاوته باستمرار، لأنه سيُذكّرك بالنعم وسيعلمك العمل الصالح بها.

الاتصال الدائم بالله:

أن تعرفي أنه لا وجود إلا لله أصلاً. كل الموجودات تجليات الله.

وأن تذكري اسم (الله) كثيراً بقلبك وبلسانك، وفي كل أوضاعك.
وأن تحافظي على قراءة كتاب الله بتعقل وتفهم، وتري آياته في الآفاق والأنفس.

قالت: كيف ممكن الله يكلمني. غير بالقران غير بالايات اللي حولي. احس ربنا مرا وحشني اكثر من انني بس اقرا القران او اصلي او اوتر.

قلت: إن شاء الله أن يكلّم بشراً سيكلّمه. ادعيه لذلك وهو يفعل ما يشاء.

...

قالت: بسالك عن الصلاة الحركية وقت الدورة الشهريه. هل ينفع تصلي المرأة الصلاة الحركية وقت الدورة ؟ او لازم تستنا الين ما تخلص و تغتسل؟ او على حسب صحتها وقدرتها لانو بعض النساء يكون التعب شديد في الايام الاولى.
قلت: صلّي الصلاة القرآنية.
أما الحركية فاعملي فيها كما جاء في المذاهب الفقهية: لا تصليها ثم اقضيها.

قالت: بس انا اول سمعت من تسجيلات فيصل انو مو لازم نقضي الصلاة الي تروح علينا. كان بيتكلم عامتا مو عن المرأة فقط.

قلت: في القرءآن لا يوجد فكرة قضاء الصلاة، حسب علمي. الصلاة القرآنية لها أحكام، والصلاة الفقهية لها أحكام أخرى وهي لون من ألوان الصلاة القرآنية ومبنية على أمور أخرى في أحسن الأحوال ومع حسن الظن باعتبارها صادرة عن النبي. فمن أراد أن يقوم بشيء عليه أن يقوم به بحسب أحكامه.

...

قال صاحب لي: هل اذا رأي شخص ما أحد الأولياء الأحياء في رؤيا، هل يعلم هذا الولي من رأى و من تكلم معه أم قد يحدث ذلك في عالم الخيال و لا يدركه عند اليقظة؟ لأن هذا حدث لي تحديداً معكم و مع الشيخ يسري، في مسألة ما، أنا أنتم فقلتم لنا في أنفسنا قولاً بليغاً، و أما الشيخ فقد أشار باشارة فهمت بها قصده و لكن بالنسبة لي لم يكن الجواب شافياً.

قلت: لا أدري. لكن بحسب التجربة، أستطيع أن أخبرك أني لم أعرف أني رأيتك وما قلته لك. فالله تعالى يفعل ما يشاء بما يشاء. والصورة على العموم تحتاج أحياناً إلى تعبير، فمثلاً، أنا قلت لك قولاً بليغاً لكن الشيخ يسري أشار، وهذا لأني أنا في وضع حرّ أستطيع بفضل الله

التكلّم ببلاغة تامّة بدون أي قيد، لكن الشيخ مضطر إلى الإشارة للوضع الذي هو فيه. وكون كلامي هو الذي شفاك بدلاً من إشارته، فهذا لأن نفسك بالفطرة تتوق إلى الحرية والكشف وليس إلى التقيّد والرمز.

إضافة: بعد إجابتي له ببضعة أيام، قرأت الموضع الذي وصلته من الفتوحات المكية، وإذا بالشيخ محيي الدين يذكر جواب مسألته تلك ولله الحمد. فيقول {وفي ليلة تقييدي هذا الوجه أراني الحق في واقعتي رجلاً ربع القامة في شقرة فقعد بين يدي وهو ساكت فقال لي الحق " هذا عبد من عبادنا أفده ليكون هذا في ميزانك"، فقلت له "من هو"، فقال لي "هذا أبو العباس بن جودي من ساكني البشرات" وأنا إذ ذاك في دمشق. فقلت له "يا رب وكيف يستفيد مني وأين أنا منه" فقال لي "قل فإنه يستفيد منك فكما أريتك إياه أريته إياك فهو الآن يراك كما تراه فخاطبه يسمع منك ويقول هو مثل ما تقول أنت"..} أقول: فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

...

{وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشّر المؤمنين}

ظاهر: بعدما قال {ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعوه وملأيه أن يفتنهم} يعني آمنوا بالرغم من خوفهم، مثل "يطعمون الطعام على حبّه" "حتى تنفقوا مما تحبّون". وكان الكلام والإيمان والاجتماع ممنوعاً عليهم بقانون فرعون. جاء الوحي ليكسر هذا القانون وينفي مشروعيته ويأمر موسى ومن معه بالتمرّد عليه. فلا قيمة لأي قانون يسلب الإنسان حرياته الكلامية والدينية والاجتماعية والفردية الذاتية.

{وأوحينا إلى موسى وأخيه} لماذا لم يقل "وهارون"؟ لأنه هنا تابع لموسى، نسبه لموسى بلا اسمه الخاص حتى نعرف أن سلطة الأمر كانت لموسى تحديداً إن اختلف هو وهارون، لأن اختيار البيوت بعد ذلك يحتاج إلى إرادة، فإذا تعارضت إرادة موسى وهارون كما في قوله عند العجل بعد ذلك "أفعصيت أمري" مثلاً حين اختلف فهم الأمر بينهما فقد موسى شيئاً وفهم هارون غيره، وإذا كان اختلاف عقل موسى عن عقل هارون ممكناً فاختلاف الإرادة وهي تابعة للعقل ممكنة كذلك من باب أولى. فلمّا احتمل الأمر الاختلاف بينهما، قال {موسى وأخيه} فكلاهما يأخذ من مصدر واحد وهو الوحي {أوحينا} فالوحي جاء لموسى ولهارون، لكن جاء الوحي بتقديم موسى في الأمر إن وقع اختلاف بينهما في موضوع الحكم التالي. كذلك لأن

الوضع فتنة وتعذيب واضطهاد ومراقبة من فرعون وحزبه، فلا يحتمل الأمر الاختلاف بلا مرجعية حاسمة لحلّ الخلاف.

{أن تبوآ} بالمثنّى. شاهد على ما سبق.

{لقومكما بمصر بيوتاً} مصر من التمصير وفيه معنى التحديد والتقليل والضغط على الشيء، وذلك بسبب ما أحدثه فرعون بعلوّه وملكه البلاد والعباد بالقهر "أليس لي ملك مصر". فالمقصود اتخاذ {بيوتاً} متعددة، ثلاثة فما فوق، وليس الضرورة أن يكون منها بيت موسى وهارون للمراقبة، لكن بيوت بعيدة عن مراقبة جنود فرعون. تعددت البيوت للاحتياط، فإن كُشف بعضها سلم البعض الآخر.

{واجعلوا بيوتكم قبلة} يذهب إليها القوم. والأمر بالجعل بالجمع، {اجعلوا} وليس كما مضى بالمثنّى، لأن الكلام هنا لأصحاب البيوت وملاكها، فجاءهم الأمر بالوحي بأن يقبلوا ذلك ويجعلوا بيوتهم قبلة إذ لا يمكن ولا حتى لرسول التسلّط على ملك مؤمن بدون إذنه ورضاه.

{وأقيموا الصلاة} "أقم الصلاة لذكري"، وذكر الله يكون بذكر اسمه وملائكته وكتبه ورسله، فاسمه مثل "اذكر اسم ربك"، وملائكته مثل "إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته"، ورسله مثل "اذكر عبدنا داود" وإن كان الذكر لعبده داود من الذكر فذكر الملائكة أولى بذلك فهم "عباد مكرمون"، وكتبه مثل "القرءان ذي الذكر".

{وبشّر المؤمنين} الذين يقومون بكل ما سبق.

باطن:

{وأوحينا} الوحي روح واحدة.

{إلى موسى وأخيه} موسى التعبير عن الروح بالكتابة، "كتبنا له في الألواح". هارون التعبير عن الروح بالخطابة، "وأخي هارون هو أفصح منّي لساناً". وسمّى موسى ونسب إليه أخيه، لأن الأصل في الوحي كتابته ثم الإشهاد عليه والنطق به كما قال في الدين "اكتبوه" ثم قال "استشهدوا"، وقال موسى لفرعون "علمها عند ربي في كتاب لا يضلّ ربي ولا ينسى".

{أن تبوآ لقومكما} بالمثنّى، لأن بعض الناس يأخذ الكلام ويعقله ويتفقه فيه-وهي الصلاة المقامة-عبر الكتابة، وبعضهم يفضّل الخطابة. فللجمع بينهما ثنّى الأمر والنسبة.

{بمصر} الدنيا كلها مصر. والنفس فيها منجذبة جهة الحسّ، فحتى يرجع الناس بالمحسوس إل الروح العقلي والحق تعالى وضع لهما الكلمة في صورة كتابة وخطابة، وكلاهما محسوس، الأول بالبصر والثاني بالسمع.

{بيوتاً} هي الكلمات المخطوطة والمنطوقة. كالصحف. "يتلوا صحفاً".

{واجعلوا بيوتكم قبلة} دلّوا الناس لقراءة ولسماع تلك الكلمات.

{وأقيموا الصلاة} هذه للناس، أي أقيموا تلك المعاني واعقلوها في نفوسكم.

{وبشّر المؤمنين} بخير الدنيا والآخرة وعند الله تعالى، فإن العلم وسيلة كل خير بجعل الله تعالى.

...

الخلود، الأبدية، الديمومة: ثلاثة أسماء في القرءآن {خالدين فيها أبدا} {أُكلها دائم}. تتعلّق هذه بالخلق، لا بالله تعالى. فالله لا يُسمّى خالداً ولا أبدياً ولا دائماً في القرءان. لا يوجد أي اسم يتعلّق بالزمان لله تعالى، وأما {الأول والآخر} فهما الاستثناء الوحيد، وليسا كالزمان بأي اعتبار حقيقي لأن الزمان الذي يُسمّى أولاً مطلقاً لا يُسمّى آخراً مطلقاً كذلك.

الخلود ضدّه الموت. {أفئن متّ فهم خالدون} {ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} {ما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين}. وفي الجنّة لا موت.

الأبدية ضدّها الوقت. فلمّا قال {لا تقبلوا لهم شهادةً أبداً} يعني بلا وقت محدود. في الجنّة أبدية، أي لا وقت محدود فيها تنتهي بعده.

الديمومة ضدّها الانقطاع. {أكلها دائم} {لا مقطوعة ولا ممنوعة}.

فأنت قد تكون من الخالدين لكن العالَم الذي تكون فيه لا يكون أبدياً، وقد تكون خالداً والعالَم أبدياً لكن الأشياء في هذا العالَم ليست دائمة بل منقطعة. فلمّا جمع للجنّة أسماء الخلود والأبدية والديمومة دلّ على أنك أنت والعالَم والأشياء فيه لكم الوجود بلا حد ولا عدّ ولا سدّ ولا ردّ ولا فقد ولا أمد.

...

{كلهم آتيه يوم القيامة فرداً}: فكل الأعمال والعبادات والشعائر والطقوس الاجتماعية والاحتفالات العامّة وأيا كان العمل، كل عمل لا يدور حول الفرد ويراعي فردية الأفراد ويحفظها وينمّيها ويُبرزها فهو عمل فاسد في الأحكام الأبدية والطريقة الأخروية.

...

{يا أيها الذين ءامنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا}

لأن المرأة يوم نزل القرءان كانت الأضعف، وهي الأضعف عموماً في المجتمعات التي يتحكم فيها الرجال، جاء الأمر للرجال. {يا أيها الذين ءامنوا}

الإيمان يعني التنازل عن القوّة مع وجودها، مراعاة للأحق والأحسن في حكم النفوس بغض النظر عن حال الأبدان. لذلك جاءت أربعة تعاليم في هذه الآية، كلها مضادة لهيمنة الرجال على النساء كما يشتهون.

الأول قال {لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرها} وقوله "لا يحلّ" ليس مثل "حُرّم عليكم"، فحين يقول "لا يحلّ" يدل على التحريم وزيادة إشارة إلى أنهم كانوا يعتقدون حلّية ذلك. {كرهاً} ضد طوعاً، وكلاهما يتعلّق بإرادة المرأة، والإرادة شأن نفسي، فالإرادة واحدة في النفوس الإنسانية لكن الفرق في قدرة البدن وما يتّصل به ليُجسّد هذه الإرادة في الخارج، فلما كان بدن المرأة أضعف نسبياً من بدن الرجل عموماً، كانت اللامبالاة بإرادة المرأة أمراً سائغاً عند الذين كفروا وأشباههم. فقال {لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً} فالمرأة ليست مالاً يرثه الرجل، ليست شيئاً يسيطر عليه الرجال بلا مبالاة لإرادتها.

الثاني قال {ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة} العضل نوع آخر من الإجبار، مبني على القوة العضلية وهي البدنية وكل تصرّف فيه قسر للمرأة لتُعطي الرجل المال الذي آتاها إياه أو كل ما آتاها إياه أيا كان. هذه مراعاة أخرى للحق وليس للبدن وقوّته. فقد صار المال ملكاً لها بحكم الحق حين آتيتها إيّاه. فكان حق الملكية وما استحللت منها بما آتيتها إياه "وقد أفضى بعضكم إلى بعض" "آتوهن أجورهن فريضة"، وفي مقابله القوة العضلية والقسرية التي للرجل، فلمّا اجتمع الحق وهو القوّة الروحية مع القوّة العضلية غلّب الله القوّة الروحية وأمر بحسبها الذين ءامنوا. بالتالي من شأن الذين كفروا تقديم قوّة الخلق على قوة الحق، أو اعتبارهم قوّة الخلق هي جوهر الحق، ومن هنا مثلاً حين قال صالح لثمود، الجنود، عن ناقة الله {لا تمسّوها بسوء} رفضوا هذا التقييد لكونهم يملكون القوة العضلية للتصرف فيها "فتعاطى فعقر" فأهلكهم الله. أما استثناء الفاحشة المبينة، فلأن المرأة أعطت كلمتها لزوجها بالإخلاص له والكلمة قوّة روحية وقوّة حق، لكن الفاحشة تغليب لحكم البدن وشهوته، فلمّا غلّبت هي شهوتها على عقلها أسقط الشرع تغليب الحق على العضل في ما آتاها إياه زوجها، مع شرط أن تكون الفاحشة {مبينة} وليس بمجرّد التهمة والظن.

الثالث قال {عاشروهن بالمعروف} المعروف بذل جهد نفسي، وخلافها المنكر الذي يأتي بسهولة بحكم البدن والنزعة الغضبية والعصبية والشهوانية البحتة. فالمعروف يحتاج إلى جهاد نفس. لذلك كانت المعاشرة بالمعروف أصعب وأعلى درجة، يختص بها الذين ءامنوا. كذلك لأن الرجل عادةً سينفق على المرأة، فقد يعتقد أن له الحق في التعامل معها بالمنكر بحكم إنفاقه عليها، فجاء التعليم بالنظر إلى القيمة النفسية للمرأة، والنفس تتضرر بالمنكر كما يتضرر

البدن بالأذى، فجاء الأمر بالمعاشرة بالمعروف نظراً للنفس. فإن الإنفاق عليها ليس أعلى من حقّ نفسها، وفي المقابل الرجل سيأخذ منها الكثير من كل صنف ولون ولو بالسكون إليها والمودة والرحمة أو بالولد وعلو درجة السعي على الأهل والعيال.

الرابع قال {فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً} فخلّص المرأة حتى من مزاج الرجل، وفتح له أفق على الفعل الإلهي تخليصاً لها من سطوة مزاجه وتقلّبه. وفي الآية دلالة بحكم {عسى} وسياق الآية على أن الرجل الذي يكره امرأته كرهاً مزاجياً ومع ذلك يصبر معها ويحسن إليها فسيقرّ الله عينه بالخير الكثير.

فالتعاليم الأربعة خلّصت المرأة من ما تكرهه في التحكم بجسمها، ومن أخذ مالها، ومن سوء معاملتها، ومن مغبّة كرهها. فخرجت المرأة بهذه الآية: مالكة لجسمها، سالمة إرادتها، محفوظ مالها، مصونة كرامتها، مُحسَن إليها.

...

قال موسى لقومه {استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين}

قوله {استعينوا بالله} خطاب للروح، "الروح من أمر ربي".

قوله {اصبروا} خطاب للنفس، "اصبر نفسك".

قوله {إن الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده} خطاب للجسم، "في ظلمات الأرض".

قوله {والعاقبة للمتقين} أهل الاستعانة بالله والصبر، "لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون". في الدنيا العاقبة لهم، وفي الآخرة العاقبة له.

...

ظهور شيء من الآخرة في الدنيا، لا يعني أن الدنيا هي الآخرة. قال الله {إذا وقعت الواقعة. ليس لوقتها كاذبة} ولا يوجد شيء يقع في الدنيا إلا ويوجد مَن يكذّب به، أو يكذّب بمصدره، أو يكذّب بشيء منه، أو يكذّب بمقصده. فلا يظهر أمر في الدنيا إلا وتوجد نفس كاذبة له، بنحو أو بآخر. فلا تظهر أمور الآخرة في الدنيا إلا للمؤمنين، الذين كُشف عنهم الغطاء. أما مَن عداهم، فالأمور عندهم ما بين الظن واللاأدرية والنسبية.

...

{وكنتم أزواجاً ثلاثة} كل زوج من اثنين، لكنهم هنا {ثلاثة}، إذن العدد ستّة فرق. اثنان واثنان واثنان.

{فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة}، إثبات ونفي. الزوج الأول {أصحاب الميمنة} وهذا إثبات. {ما أصحاب الميمنة} الزوج الآخر وهذا نفي.

{وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة} إثبات ونفي. فقوله {وأصحاب المشئمة} إثبات، وقوله {ما أصحاب المشئمة} نفي. وهما زوج.

{والسابقون السابقون} اثنان، إثبات وإثبات.

فالإثبات والنفي مثل {الله لا إله إلا هو} فجمعت ما بين إثبات {الله} ونفي {لا إله إلا هو}. وكذلك {الحي القيوم} إثبات {لا تأخذه سنة ولا نوم} نفي. وأما الإثبات والإثبات فمثل {وهو العلي العظيم} فالعلي إثبات والعظيم إثبات.

الميمنة والمشئمة لأنهما أضداد، فلابد أن يكون في كل مقام منهما أضداد أيضاً. فلا يكون الشيء نسبياً إلا إن كان في ذاته نسبي. وأما السابقون فهم أهل الوحدة المتعالية وبها سبقوا. فأصحاب الميمنة والمشئمة لابد أن يدركهم ضدّهم، فالإثبات يدركه النفي، والنفي يدركه الإثبات، في ذاته. أو يدركه ضدّه المغاير له ويعاكسه ويضادّه ويخالفه ويعارضه. النسبي في ذاته نسبي مع غيره. أما المتوحّد في ذاته فمتعالي على غيره لا يدركه ولا يعارضه لأنه لا يشتمل على صفة وجودية إلا وحقيقتها كامنة في ذاته فلا تعارضه كيفية لاشتمالها على كل الكيفيات فهو "خاتم النبيين". وأما نسبيته الذاتية أقصد صاحب الميمنة والمشئمة، فناشئة من العدم الذي فيه، من محدوديته الكيفية. فصاحب الميمنة وصاحب المشئمة لا يزالا في العدم ولو بدرجة ما، ولولا ذاك لما انحصرا في الميمنة أو المشئمة. أما السابق فخالص الوجود ومخلص بنور الوجود، فسبق كل عدم فلا يدركه وسبق كل فراغ فلا يصيبه. {أولئك المقرّبون} أهل الروح.

صاحب الميمنة نفساني، صاحب المشئمة جسماني، أما السابق فروحاني. {الروح من أمر ربي} و {ما أمرنا إلا وحدة}.

...

كل ما كتبته وقلته عن أي شخصية تاريخية، فإنما هو قول بحسب ما قرأته وتعليقي على الشخصيات بحسب صورتها الذهنية الناشئة من القراءة، وأما الشخصيات الواقعية التي من المفترض أن النصوص تشير إليها فتلك لا حكم لي عليها بل حكمها لله تعالى وحده. اللهم إلا أن أقول شيئاً بالكشف، فذلك حق، وحين أقول كشفاً فإني أذكره وأنصّ عليه أو أشير إشارة واضحة إليه كرؤيا أو إلهام خاص. لكن بشكل العام، الحكم على الصورة الذهنية لا الشخصية الواقعية. {تلك أمّة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون} فلا أسأل ولا يهمّني أن أسأل عمّا لن أُسأل عنه، بل هذا من التكلّف المنفي عن الصالحين. {لها ما كسبت} في الواقع. {لكم ما كسبتم} وتصوّركم عنهم هو من ما كسبتم، فإنما أحكم على كسبي لا على الواقع الخارجي. وأما إن كان لشخص واقعي أثر من قول أو فعل يُراد إعطاؤه حجّية معاصرة بسبب ذلك الشخص، فحينها نقده يكون أولى وأشدّ بالأخصّ

إن كان هو نفسه يدّعي مثل تلك السلطة وبأخصّ الأخصّ إن كان أمراً مخالفاً للفطرة أو للعقل أو للقرءان العربي المبين.

...

المني والزرع والماء والنار: الإنسان يتعمّل في إيجادها بعد وجودها، وليس إيجادها من العدم ولا إيجاد خصائصها ولا أسبابها.

لذلك تجده تعالى يثبت الفعل للإنسان فيها وينفي عنه فعلاً آخراً. فيقول {أفرءيتم ما تمنون} فأثبت أنه هو الذي يمني، ويقول {أفرءيتم ما تحرثون} فأثبت أن الإنسان هو الذي يحرث، ويقول {أفرءيتم الماء الذي تشربون} فأثبت الشرب له، ويقول {أفرءيتم النار التي تورون} فهو الذي يوري.

لكم في المقابل، ينفي عنه خلق المني {أم نحن الخالقون}، والزرع {أم نحن الزارعون}، والإنزال {أم نحن المنزلون}، والإنشاء {أم نحن المنشئون}.

فالإنسان عامل في وجود قائم، وليس موجد لمعدوم الأصل والأساس. فالإنسان مُستهِلك لما يفعله الله تعالى. لذلك، الاستهلاك أخصّ خصائص العبد، وهو عمله الوحيد من حيث العبودية، ثم يأتي الشكر على النعم المستهلكة حتى يتمّ واجبه تجاه ربّه. فالرب يعطي، والإنسان يستهلك ويشكر. هذه خلاصة الرؤية الوجودية القرآنية.

...

قال في بدايات الواقعة {وحور عين. كأمثال الؤلؤ المكنون}، وفي آخر الواقعة قال {إنه لقرءان كريم. في كتاب مكنون}. من هنا نعلم أن الحور العين مَثل على القرءان الكريم. ومن هنا جاءت الرواية عن عمر عن النبي بما معناه، لكل حرف من القرءان حورية. وحيث أن القرءان {روحاً من أمرنا}، والروح عكس الحور، فالحور تعقّل القرءان، لأن الروح ينزل وبه العقل يصعد {لعلكم تعقلون}.

من هنا قال بعدها عن أصحاب اليمين {إنا أنشأناهن إنشاءً. فجعلناهن أبكاراً. عُرباً أترابا} فالإنشاء للروح القرآني، والجعل للنور "جعلناه نوراً" فهو نور بكري ليس له مثيل " فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين"، {عرباً أتراباً} لأنه بلسان عربي على المستوى الترابي أي الظاهري الأرضي "بلسان قومه ليبين لهم" "في ظلمات الأرض" "يا ليتني كنت تراباً".

النفس زوجها الروح. فلمّا كانت النفس المؤمنة تتعقّل القرءان، تمثّل ذلك بالحور العين، لأن النفس تعقّلت الروح بعين القلب "ولكن تعمى القلوب". هذا بالنسبة لزوج النفس المؤمنة، أي الروح النوراني.

لكن بالنسبة للنفس الكافرة، فإن لها زوج أيضاً "إذا النفوس زُوّجت" "احشروا الذين ظلموا وأزواجهم" هؤلاء أزواجهم بحسب الحق في الآخرة، وهي نفوس شيطانية مثلها.

...

ليس كل المترفين سواء.

قال الله في أصحاب الشمال {إنهم كانوا قبل ذلك مترفين} لكن لم يقف عند هذا بل أكمل {وكانوا يصرّون على الحنث العظيم. وكانوا يقولون أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون. أوَ ءاَباؤنا الأولون.} فهؤلاء الذين أنكروا الآخرة، وترفهم ناشئ من اعتقادهم بأن وجودهم يتلخّص في أبدانهم لذلك قالوا {كنّا تراباً} فاعتبروا أنفسهم تراباً، أي ماهوا وساووا بين أنفسهم وبين التراب وهو البدن. فالموت عندهم هو أمر بدني بحت، ووجودهم بدني صِرف. ترفهم ناشئ عن اعتقادهم المادي وكفرهم بالآخرة.

لكن مَن كان ترفه ناشئ عن ضعف، أو ميل لشيء من الهوى، أو للخلط ما بين أمر الآخرة وأمر الدنيا، ونحو ذلك، مع إيمانه بوجود النفس المفارقة للبدن، وإيمانه بالآخرة والبعث والله العظيم، فلا يستوي هو والمترف السابق.

باختصار، الكافر المترف ليس مثل المؤمن المترف.

...

ثلاثة لا تدعها أو تتهاون بها ما استطعت إلى ذلك سبيلا، ولو انطبقت السماء على الأرض: ذكر الله والنوم العميق والاستمتاع بالجماع. فالأول سعادة روحك، والثاني سعادة نفسك، والثالث سعادة جسمك. وكل واحد منها سيفيض خيره على البقية بإذن الله. ازهد في كل شيء، ولا تزهد في هذه الثلاثة. قلل من كل شيء ولا تقلل من هذه الثلاثة.

...

{يا أيها الذين ءامنوا} بالقرءان.

{لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرها} النساء آيات القرءآن، "آية أكبر من أختها"، وهي نساء لأنها متأخرة في مقامها عن الله تعالى، "فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون" فالآية متأخرة عن الله تعالى، "ءامن بالله وملائكته وكتبه"، "أبالله وآياته". فلا يحلّ لك أن تقرأ الآية وتنسب معناها لنفسك بالاستكراه والتحريف والبتر حتى تتناسب مع رأيك.

{ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة} جهدك الذي تؤتيه الكلمة لا يجيز لك تغيير معنى الكلمة، ولا يجيز لك رفضها إلا إن كان المعنى الذي خرج لك من الآية-بحسب مستوى فكرك-جعلك تخرج بنتيجة سيئة ببرهان يدلّ على سوءها. فإذا قرأت الآية

وفهمت منها أمر هو فاحشة مبينة، فلك أن تتراجع وترفض الآية ليس رفضاً لها لكن رفضاً لما خرج لك منها لسوء حال فكرك وليس لسوء الآية ذاتها إذ "إن الله لا يأمر بالفحشاء". تعظيمك الآية هو مما تؤتيه الآية، وهذا من الإيمان بها ونسبتها إلى الله تعالى في قلبك، لكن لا تذهب بهذا التعظيم إلا في حال وجدت أن الآية تدلّ حسب فهمك على أمر هو فاحشة ببيان وبرهان كاف. لذلك جاء أمر "أمر قومك يأخذوا بأحسنها"، لكن لموسى نفسه قال له "خذها بقوة" فأطلق الأخذ، لكن لقومه قيّد الأخذ بـ"أحسنها"، لماذا؟ لأن موسى سيعرف الكتاب على حقيقته وسيكون كله خير مبين له، لكن بالنسبة لأصحاب الفكر والدراسة والاستنباط فهؤلاء عقلهم غير محفوظ عن الخطأ في الفهم ولذلك أمرهم بالأخذ بأحسنها حصراً، مما يدلّ على أنه قد يظهر لهم ما هو سيء أو أدنى في الحسن من الأحسن. فإذا ظهر لهم منها ما هو أسوأ وسيء فعليهم بعدم الأخذ به بل يأخذوا بأحسنها فقط "يستمعون القول فيتبعون أحسنه". ليس لأن القول الإلهي ذاته سيء والعياذ بالله، لكن لأن سوء نفوسهم يجعلهم يرون السوء من الآية.

{وعاشروهن بالمعروف} العشر فيه معنى الكمال والمصاحبة ويقال "ناقة معشار" يعني غزيرة اللبن وتأويله العلم، فالمعنى: صاحبوا آيات الله بكمال الإيمان بها والإحسان في قراءتها وتعقلها ودراستها وإرادة وجه الله بها، واطلبوا مناه العلم والمعرفة والأخلاق الحسنة لتتغيّروا بها.

{فإن كرهتموهن} كالذين قالوا "ائت بقرءان غير هذا أو بدّله".

{فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً} وهي الحكمة الكامنة في القرءآن " ومَن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً".

...

صاحب القرءان، إما أن يكون في مجتمع يرفع المتكلّم فوق بقية طبقات المجتمع السياسية والاقتصادية، وإما أن يسعى لصنع هذا المجتمع الحرّ ولو بالقتال، وإما أن يعتزل الناس جميعاً ويخرج عن كل مجتمع.

قال الله {فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرءان كريم.} فكما أن النجوم فوق الأرض، كذلك المتكلّم وصاحب القرءان الكريم فوق بقية الطبقات الأرضية، والتي منها الإدارية السياسية ومنها الحرفية الاقتصادية.

{في كتاب مكنون. لا يمسّه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين.} المطهّر من كل شأن أرضي، أي الإنسان الروحاني والعاقل، هو وحده الذي يمسّ القرءان، بالتالي لا يمكن لمن هو دونه من غير المطهرين أن يتدخّل في كلامه وكتابته بحال من الأحوال، لأن النجس لا يحكم على الطاهر. كذلك سلطان صاحب القرءآن من لدن رب العالمين، وهو ينطق بأمره ويكتب بعلمه، فلا يمكن لعبد من العبيد أن يكون له سلطة أعلى من سلطان صاحب القرءان حتى يقيّده في ما يجوز له قوله وما لا يجوز له قوله.

{أفبهذا الحديث أنتم مدهنون.} هذه لأصحاب القرءان الذين يقولون: لا نهاجر ولا نجاهد من أجل حرية كلمتنا من قيود النظام السياسي، بل نداهنهم، فنقول ونخفي، ونرمز ونعلن، ونحسب الحسابات لما يجوز قوله وما لا يجوز قوله من كلام الله وما عقلناه.

{وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون.} هذه الأصحاب القرءآن الذين يقعدون ويتقاعدون ويقولون: رزقنا وقدر الله المحتوم علينا أن نكون في حالة التقييد ومضطرين إلى الكتم والإخفاء. فيكذّبون عملياً وبل وبعد ذلك ذهنياً ببعض ما نزل، ويتصرّفون كتصرّف المكذّبين من حيث عدم قولهم به وإعلانهم له وفعلهم المناسب له حفاظاً على أوامر النظام السياسي الصادرة إليهم والمسيطرة في بلدهم.

{فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون.} حين يأتي الموت لا تنفع مداهنة ولا جبرية. سيرى كل كاتم للعلم وللكلمة التي في صدره كلمته هذه ماثلة أمامه وسيُلام على كتمها. في ذلك الوقت، سيرى أن الله والآخرة أقرب إليه من الدنيا ومن الذين داهنهم وخضع لهم. فليكن كذلك اليوم حين لا تزال الفرصة موجودة للتغيير.

قال في السورة التي بعدها {ءامنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه} هذا ما فهّمك وأمرك الله ورسوله ببيانه للناس علناً بلا رمز ولا قيد.

ثم قال {وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله} يعني مجاناً ومطلقاً بلا كتم شيء.
{ولله ميراث السموات والأرض} قبل أن ترجع إليه قهراً ارجع إليه طوعاً. وكل مَن على الأرض وأنت معهم سترجعون إليه، فلا تتصرف وكأنك مخلّد في الأرض وتخاف وتحسب الحسابات.

{لا يستوي منكم مَن أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكُلّا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير} قبل الفتح هذه للمهاجرين. بعد الفتح، للمسلمين أجميعن. الفتح: حلول حرية البيان والدين في الأرض بتدمير العصابات المسلحة التي تفرض القيود على الناس في البيان والدين وهي الدول والأنظمة السياسية الفاسدة أيا كان لقبها.

{مَن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم} أقرض الله نفسك الدنيوية فيعطيك نفساً أخروية بتعريضها للمهالك في سبيل نشر كلمته. أقرض الله أموالك وأملاكك وكل ما تضحي به في سبيل بيان كتابه وأمر رسوله ودينه فيضاعفها لك. أقرض الله الفانية ليعطيك الباقية. أقرض الله جهدك ليعطيك الراحة النفسية والأبدية. أقرض الله سمعتك الاجتماعية ليعطيك سمعة عالية في الملأ الأعلى وعند الصالحين من عباده الذين بهم العبرة لا بالأشرار وأصحاب النار والجهلة الكفار. أقرض الله ظلمات الأرض ليعطيك نور السماء.

...

اشتكت من أعراض غريبة تصيبها وسألتني عن الحل فقلت لها: لا أدري. لكن أنصحك بثلاثة أمور فإذا استمرّت حالتك فابحثي عن طبيب: إلغاء كل أمر دنيوي من حياتك بأكبر قدر ممكن (يعني كل ما عدا أعمال الطريقة الثمانية)، ثم الابتعاد عن الأناس السلبيين والدنيويين بأكبر قدر ممكن، ثم معاشرة رجل تحبيه والاستمتاع معه بكل انفتاح وأريحية وممارسة كل ما يخطر ببالك من أمور المتعة واللذة والبسطة معه وهو معك بدون أي قيد حتى يتمّ كل ما في بالك ولا وعيك.

...

قال: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته،

كان عندي سؤال هو مش سؤالي، هو واحد صاحبي سأله ليا علشان اسأله لدكتور المادة لانه مبيردش عليه، أنا سألته الدكتور بس حابب أعرف إجابته منك لاني بحب كلامك.

"يجوز للمرأه ان تتولي الوظائف العامه قياسا على قبول شهادتها أمام القضاء رغم رفض البعض قياسا علي عدم امامتها في الصلاه بالمساجد، فهل القياس ده صح؟"

انا جاوبته أنه لا يجوز قياس الشهادة على الصلاة لأنه الشهادة من المعاملات والصلاة من العبادات. وكمان لأن الوظائف العامة وظائف مدنية ومفيش نهي عن عمل المرأة بيها اصلا علشان نقول ينفع ولا مينفعش.

بس السؤال بقى: هل يجوز للمرأة إنها تؤم الناس في الصلاة؟

وبعتذر على التفاصيل اللى مش مهمة برضو اللي بكتبها في كل رسالة ببعتها.

أقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أ-استعمالهم القياس، أو احتجاجهم بالإجماع، دليل على عدم وجود دليل من كتاب الله بأيديهم، وهذا كافي. لكنه يدل زيادة على ذلك على عدم وجود حتى دليل قاطع بأيديهم من الروايات أشدّ.

ب-يوجد رأي فقهي قديم يقول بجواز أن تكون المرأة حاكمة قاضية على الإطلاق في كل الأمور. وأما ما سمّوه "الإمامة الكبرى" والمقصود بها الإمارة، أو رئاسة الدولة، فأقصى ما جاءوا به ينحصر في حجّتين: الأولى رواية "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"، والأخرى الاحتجاج بالإجماع.

أما الاحتجاج بالإجماع فلا قيمة جوهرية له وهي دعوى صدرت من أناس في زمن كانت المرأة تتردد فيه بين أن تكون مجرّد متاع أو تُقاس بالعبد "لنقصان حرمتها" وما شاكل، وليس من ديننا ولا من مقتضيات العقل والبحث عن مصالحنا اعتبار أهواء جيل حجّة شرعية.

أما رواية "لن يفلح قوم" فعليها على الأقلّ خمسة انتقادات. الأول وهو الأكبر وهو الكافي، ما بأيدينا من كتاب الله الذي فيه هلاك قوم فرعون وهو رجل في الدنيا والآخرة مع نجاة قوم ملكة سبأ وهي امرأة بالرغم من أن الرجال الذين معها كانوا يشيرون باستعدادهم لحرب سليمان حين قالوا "نحن أولوا قوّة وأولوا بأس شديد والأمر إليك" فكانت أعقل وأحكم منهم. كذلك كان أحسن قلباً وفهماً منهم، فإن سليمان أراها آيتان فقط، آية العرش وآية الصرح، وفوراً أسلمت {مع سليمان لله رب العالمين}، بينما فرعون وهو رجل ومن معه رجال قال الله عنه {ولقد أريناه آياتنا كلّها فكذّب وأبى}. فهذه سياسة وديانة ملكة سبأ وملك مصر، والفرق أمامك، نجاة في الدنيا والآخرة لأصحاب الملكة وهلاك في الدنيا والآخرة لأصحاب الملك. الانتقاد الثاني، السياق التاريخي، فيقال أن النبي قال تلك العبارة تعليقاً على حال الفرس الذين ولّوا امرأة، وهذا مفهوم إن كان مخصصاً بحالهم، فإن الفرس كانوا يحتقرون المرأة أصلاً احتقاراً شديداً، فلمّا ولّوها دلّ ذلك بالعقل على أنهم في حالة بائسة من الضعف، فعبارة الرواية وإن كانت مطلقة فقد تكون مقيّدة بالسياق وهذا كثير في كلام الناس وفي القرءان أيضاً مثل "أريناه آياتنا كلّها" في فرعون فليس المقصود هنا الكلية المطلقة فإن آيات الله لا نهاية لها لكن المقصود بعضها المعبّر جوهرياً عن الكل للاشتراك الجوهري بين مختلف

الآيات من حيث الصورة كالأمثال التي عددها الأصلي محدود "من كل مثل" لكن مظاهر الأمثال لانهاية لها ونحو ذلك من التأويلات، قد الروايات فيها نقل بالمعنى فلا ندري لعل الرواية الأصلية كانت "لن يفلح القوم وقد ولّوا أمرهم امرأة" بمعنى الفرس أنفسهم بسبب حالة المرأة عندهم وهذا قريب لكن لا داعي لافتراضه بعد إمكان فهم الإطلاق في ضوء القيد التاريخي وسياق الكلام. الانتقاد الثالث، تلك الرواية ظهرت من بعض مَن أراد الاعتراض على تولية عائشة في حرب الجمل، فلا ندري، لعل بعضهم اخترعها من باب الكذب الذي كان شائعاً في ذلك الزمان على النبي، وكل صاحب فرقة وهوى ومطلب يخترع رواية ليطعن بها على مَن يعارضه. الانتقاد الرابع، وهو من الواقع المشهود والمعلوم، كم من أمّة ولّت الرجال وهلكت وتعذّبت دنيا وآخرة، وكثير من الأمم وفي قرننا هذا ولّت النساء من رئاسة الدولة فنازلاً، ولم نجدهم لم يفلحوا بل أفلحوا فلاحاً أحسن من فلاح كثير من الدول التي تولّي الرجال، وهذا أمر محسوس ومعقول فلا يمكن ردّه. الانتقاد الخامس، قيمة أي تعبير بأن يعطي معنى يخالف عكسه وإلا لم تكن فيه فائدة، فإن قيل "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" فهذا يعني أن الفلاح يكون بتولية الرجال، لكن هذا أمر غير واقعي، في جميع الأمم وعبر التاريخ، لما سبق أن أشرنا إليه. فإن كان المقصود، كل تولية للمرأة يؤدي إلى عدم الفلاح، وكل تولية للرجل تؤدي إلى الفلاح، كان البطلان ظاهراً. وإن كان المقصود، تولية المرأة غالباً تؤدي إلى عدم الفلاح، كان في هذا خروج عن حرف النصّ "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"، فندخل في التأويلات والتفسيرات المختلفة ومنها ما ذكرناه، ويمكن بعد ذلك البحث عن أسباب عدم الفلاح هذه والنظر هل تنطبق على كل عصر ومصر أم أنها مخصوصة بظروف وأسباب يمكن تفاديها، وعلى هذا النسق يتم وضع القاعدة العملية.

ج-في القرءان.

أمر القضاء بل الرئاسة، راجع إلى القدرة العقلية والنزاهة الأخلاقية بشكل عام. ونحن نرى في الحياة المدنية والسياسية للناس ليس بالضرورة وجود المثال العقلي والأخلاقي المطلق في القاضي والرئيس حتى تسير أمور الناس بنحو مقبول. وأمامك الآن وانظر حولك، وسترى كثير من القضاة والرؤساء لا يبلغون حتى متوسط ذكاء ونزاهة بعض عوام الناس في المجتمع، ومع ذلك تسير أمور المجتمع بنحو مقبول يزيد أن ينقص، أو لا يبالي الناس ولو كان غبياً وفاسداً. فلا أدري ما قيمة أن يوجد لديه جهاز تناسلي ذكوري وهو غبي وفاسد، هل نريد القاضي والرئيس ليدير الدولة أم ليركب الدولة !

من حيث القدرة العقلية والأخلاقية لا تمييز جوهري بين الذكر والأنثى في القرءان. مثلاً {إن المؤمنين والمؤمنات} وقال {من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا} فأثبت الإيمان وهو تعقّل ونزاهة من نوع عالي للذكر والأنثى، وكذلك أثبت التعارف وهو تبادل المعارف للذكر والأنثى. وقال {من يعمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن} فساوى بينهما. وهكذا الأصل هو المساواة في الجوهر العقلي والإرادي بين الذكر والأنثى. ثم الاستثناء بعد ذلك، حيث تجد بعض الذكور يضلّ ويفسد، وبعض الإناث يضلّ ويفسد، ولا توجد حالة ثبت فيها نقص عقلي أو إرادي لأنثى إلا ويوجد مثلها أو أشدّ منها لذكر.

مثلاً، في العقل خاطب رجال وقال لهم {أفغير الله تأمرونّي أعبد أيها الجاهلون}. فإن قيل: لكنه أثبت شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل في آية الشهادة على الدين. نقول:

أوّلاً، أثبت الله ضلال الرجال في الشهادة على ما هو أكبر وأشدّ من بضعة دراهم ودنانير، مثل قوله "فنسوا حظّاً مما ذكّروا به" وهذا من كتاب الله، وقال في رجال "يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" وهذا تناهي في الجهل المتعمّد والجرأة على الحق. وقال في رجال "كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين". وفي الفساد العقلي والديني والأخلاقي قال في رجال "إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله". وعلى هذا النمط، إذا نظرت في القرءان ستجد أن الغالبية العظمى إن لم تكن كل الآيات الدالة على الجهل والفساد والظلم والطغيان والتحريف والجرأة على الله والعبث بالحق ورفضه منسوبة لرجال.

ثانياً، قضية الشهادة على دَين ليست مثل الوظيفة القضائية والرئاسة. فالرجل والمرأة قد يشهدا على دَين عارض وطارئ في أمر لا يبالون به كثيراً، وتكون لهم مشاغل أخرى في الحياة تنسيهم دقائق الموضوع، ولذلك جاء الأمر في آية الدين بالكتابة وأما الشهادة فزيادة توثيق والأصل "فاكتبوه". ونعم، قد تكون المرأة-وهذا أمر مشهود-لشدة حركة ذهنها في الاهتمام بأمور كثيرة، خصوصاً في ذلك الزمان بل وفي هذا الزمان، مثل الاهتمام بالأولاد والبيت وقرف الزوج واحتقار المجتمع وما إلى ذلك، فعلاً قد تحتاج إلى داعم مذكّر "أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى". وإلا فالمشهود المحسوس أن بعض الرجال ينسى ما الذي أكله بالأمس، وبعض النساء تتذكّر ما فعله معها زوجها قبل عشرين سنة وتلومه عليه بالتفصيل ! لكن هذا كله خلاف لو كانت المرأة وظيفتها القضاء والرئاسة، وهذا أيضاً مشهود، فنحن نرى ونقرأ مثلاً أحكام بعض القاضيات في المحكمة العليا الأمريكية (أقول هذا لأنه ما اطلعت عليه وليس لأنه لا يوجد مثله في كثير من الدول الأخرى) وهي من الدقة والعمق و"التذكّر" لتفاصيل تفاصيل المعلومات والسوابق بحيث يعجز أكثر الرجال حتى عن الصبر

على قراءة الحكم فضلاً فهمه فضلاً عن نقده. كذلك الأمر في الرئاسة، وهكذا في كل وظيفة أخرى تحتاج إلى تذكّر تفاصيل وأمور كثيرة، وكم من طبيبة ومهندسة وغير ذلك من الوظائف ممن لديها معلومات عليها تذكرها وإبداعات عليها القيام بها تحتاج إلى جهد عقلي وتذكّر أعظم من تذكّر دين من دراهم معدودة ولا تحتاج إلى مذكّر لا من امرأة ولا من رجل بل هي التي تذكّر الرجال والنساء معاً. المكابرة في رفض المحسوس المشهود ليست ديناً ولا عقلاً. فنعم، آية الدين-على ظاهرها-تشير إلى امرأة تشهد على دَين عرضي، ليست وظيفتها ولا تخصصها ولا ما تتفرغ له ولا ما تهتمّ به لأنه يتعلق بذاتها ومالها وأهلها وما شابه، فهي شهادة عابرة.

ثالثاً، آية الدين تتعلّق بالدين فقط، ولا يجوز قياس غيره من الأمور عليها. وإلا وجب على كل امرأة تفعل أي شيء يتطلب ذاكرة أن يكون لديها امرأة أخرى تذكرها بها، حتى كم مرّة أرضعت طفلها وهل طبخت أم لم تطبخ وهل غسلت شعرها أم لم تغسله بالأمس وهلمّ جرّاً، وهذا لا يقول به لا عاقل ولا مجنون. فالآية تتعلق بالدين، فلتبقى في حدود ما نزلت فيه وفي ظروفه وشؤونه التي نزل فيها.

رابعاً، مَن أراد المكابرة والقياس غير المشروع على آية الدين، فليكن. لكن حتى هذا لا يجيز له رفض قضاء ورئاسة المرأة مطلقاً، بل أقصى ما يجيزه له هو إيجاب وجود مساعدة أو سكرتيرة إن شئت للمرأة القاضية والرئيسة حتى تذكّرها إن نسيت أمراً ما. فقد يقول: يمكن تعيين القاضي الرجل وحده، لكن إن عيّنا قاضية فلابد من تعيين مساعدة لها. فليكن، هذا أمر حسن بحد ذاته، وأصلاً كل القضاة الرجال وفي كل مكان لديهم مساعدين الآن، ولا يوجد قاضي رجل إلا ويستعين بغيره، وكذلك الرؤساء لديهم أجهزة كاملة من الناس يساعدونه. فهذا أقصى ما في القياس على الشهادة. وهو من جهة أخرى جيّد من حيث فتح وظائف أكثر للنساء.

هذا مثال على القدرة العقلية.

أما القدرة الأخلاقية والإرادة، فالقرءان أمامك، اقرأه وانظر. لن تجد فساداً لامرأة إلا وشاركها فيه رجل، لكن ستجد الكثير جداً من فساد الرجال لم ينسب مثله إلى النساء.

مثلاً، {الزانية والزاني} فشارك الرجل المرأة في هذا. مثلاً، {السارق والسارقة} فشارك الرجل المرأة في هذه. ومن قال بأن تقديم {الزانية} على {الزاني} يشير إلى فساد أكثر للمرأة، وهذا رأي، فيردّه تقديم {السارق} على {السارقة} في الآية الأخرى، فيستويان إذن.

لكن لنرجع إلى البداية. جاء الوحي لآدم وزوجه {لا تقربا هذه الشجرة} لكن الوحي نفسه جاء لآدم {قلنا لآدم}. فوسوس الشيطان لآدم وزوجه، {فوسوس لهما الشيطان} فوقعت

الوسوسة لهما معاً، لكن الذي أكل هو آدم {وعصى آدم ربه فغوى} ولم يثبت العصيان لزوجه، مما يشير إلى أنه الذي أكل أوّلاً قبلها وإما أنه الذي أكلها فقط دونها، والنصّ يثبت العصيان لآدم وليس لزوجه فلم يقل "وعصى آدم وزوجه ربهما". ولا يوجد في القصّة أن زوجه هي التي أمرته بالأكل، أو أن الشيطان أغواها هي لتأكل وهي أغوت زوجها (كما في كتب اليهود). فسبب الهبوط من آدم. لذلك أيضاً في الرواية التي فيها "احتج آدم وموسى" قال موسى لآدم أنه هو الذي أخرجنا من الجنّة، ولم يذكر زوجه بشيء.

ثم حمّالة الحطب. شاركها زوجها بل تقدّم عليها، {تبّت يدا أبي لهب}.

ثم {ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما} فليس في هذا تخصيص للمرأة بالسوء، بدليل أنه بعدها {ضرب الله مثلاً للذين ءامنوا} ثم ذكر "امرأت فرعون" و "مريم". فمن هذا الوجه، تعادل الفاسد مع الصالح. لكن من وجه آخر، يوجد مثل تلك الخيانة في الرجال. كما قال {يا أيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم وأنتم تعلمون} وقال في رجال {إن يريدون خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم} وخيانة الله أشدّ من خيانة الرسول، وهؤلاء الرجال خانوا الله والرسول معاً. إذن لا فضل للرجال على النساء في باب الخيانة، بجميع المعاني.

وعلى هذا النمط، انظر في القرءان ولن تجد تمييزاً بين الرجل والمرأة في العقل وفي الإرادة بحيث يكون للرجل شيء ليس للمرأة مطلقاً أو للمرأة شيء ليس للرجل مطلقاً.

وأما آية {الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم}، فهذه قوامة مشروطة، وقد تنعكس. فليست مطلقة. فقوله {بما أنفقوا من أموالهم} احتمال، والاحتمال الآخر وما أكثره في كل زمان من النبي نفسه إلى يومنا حيث تكون المرأة هي التي تنفق على الرجل، إما مطلقاً وإما لأنه ضعيف ومحتاج لا يستطيع الكسب أو تكرّما وبرّاً كامرأة تنفق على والدها وإخوتها وهكذا أمثلة كثيرة شرقاً وغرباً قديماً وحديثاً. وأما {فضّل الله بعضهم على بعض} فالتفضيل ما المقصود منه؟ إن كان القوة العضلية، فقد ينعكس وتكون المرأة صحيحة سليمة والرجل ضعيف ومشلول، ثم قد يتغيّر حال المجتمع ويصبح الكسب لا علاقة جوهرية له بالقوة العضلية كما هو الحال اليوم في معظم الوظائف. إن كان القوة العقلية، فأيضاً قد ينعكس وقد مضى بيانه. طبعاً هذا كله قراءة ظاهرية للنصوص. وإلا فالقراءة الباطنية تبيّن أمراً مختلفاً تماماً وليس الكلام فيه على الذكورة والأنوثة أي ليس عن البدن، بل عن النفوس، ولا نريد الدخول في هذا الآن فليس محلّه. بل حرفية {فضل الله بعضهم على بعض} لا تعني بالضرورة أن سبب القوامة هو التفضيل، ولو أراد مطلق التفضيل لقال "بما فضّلهم الله عليهن" مثلاً لإثبات الفضل المطلق للرجل على المرأة،

وليس كذلك، بل فيها إشارة إلى أن الرجل مفضل من جهة والمرأة مفضلة من جهة أخرى، وقد يكون العكس تماماً أي أن فضل المرأة على الرجل هو الذي جعل الرجل قواماً عليها من قبيل فضل المخدوم على الخادم فالمخدوم لأنه مشغول بما هو أولى من مشاغل الخادم يتم تسخير الخادم له ليقوم على شؤونه ويوفرها له حتى يتفرغ المخدوم لشغله الأكبر كذلك الحال هنا قد تكون القوامة للرجل تحديداً لأن المرأة مفضلة عليه من حيث استمرارية النسل وتنشأة الجيل الجديد فيتم تسخير الرجل لها ليكسب وينفق ويهتم بظواهر الأمور حتى تتفرغ هي لعملها الأهم. فإن قيل: فضل الرجل لأنه أكثر اتزاناً وحكمة. قلنا: ليس بالضرورة وكم من رجل طائش أهوج وسخيف أفسد نفسه وعائلته بغير حق ولا قصد صحيح لمجرد هوى بحت بينما المرأة تصبر وتزن الأمور حتى تستقيم العائلة وتحسن في إنفاق المال بينما هو يبذره للتفاخر على الأغبياء من أصحابه مثله. وإن قيل: فضل الرجل لأنه يملك القضيب الذي فيه المني. قلنا: لولا الرحم لا نفع منيّه في شيء لكن المرأة اليوم تستطيع أن تحمل بدون أن يجامعها رجل كالحمل الاصطناعي فهي اليوم في غنى عنه (وقد اشتروا منيّه حين باعه لبنك المني فأخذه حقّه مقابله فلا فضل له بعد أخذه المقابل) لكن لا يمكن مثل ذلك للرجل، هذا وجه، والوجه الآخر أن المرأة تملك لبن الرضاعة وبه ينمو الولد الذي يمكن أن يتولد عن المني، والمرأة تُرضع رحمة واختياراً وتعاني في الرضاعة آلاماً وسهراً لكن الرجل يقذف شهوةً وتلذذاً ويتنعم بذلك، ففضل عطاء المرأة على الرجل أعلى من وجه الاختيار والرحمة والمعاناة. فلا شيء في هذا الباب إذن يمكن لرجل التمسّك به للتعالي على المرأة.

أما آية الحيض. {يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن}: فالبعض يمنع من قضاء ورئاسة المرأة بحجّة أنها تحيض وهذا يجعلها معرضة للاضطرابات العاطفية أو الآلام التي بها تضطر إلى ترك شغلها في أيام معدودة كل شهر. نقول: أوّلاً هذا ليس في الآية، الآية على ظاهرها تتحدث عن الاعتزال في الجماع في مكان الحيض حصراً {المحيض} وحتى النبي في الرواية لم يكن يمتنع عن مسّ جسم المرأة بطرق شتّى ويقول "حيضتك ليست في يدك" أو نحو ذلك، بالتالي هو أمر مقيّد بموضع مخصوص بفعل مخصوص، ولا يوجد في القرءان أن الحيض يجعل المرأة كائناً مرفوع عنه القلم حتى يفيق ولا في الرواية أن القلم مرفوع عن المرأة حتى ينقطع حيضها بالتالي عقلها وإرادته سليمة وتكليفها قائم. ثانياً، وقد خرجنا عن الآية، قال النبي في القاضي الرجل "لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان" وقاس الفقهاء عليه الجوعان والعطشان والنعسان وما أشبه، فحتى القاضي الرجل قد يغضب فيضطرب عاطفياً وذهنياً فيمنع قضاؤه وكذلك بقية نقائص الجسم، فليس هذا أمراً مخصوصاً بالمرأة، وأقصى ما في الأمر أنها إن وجدت

نوعاً من الاضطراب بسبب الحيض أن تكون بمثابة الغضبان أو الجوعان أو النعسان فتستريح وتترك القضاء تلك الفترة المخصوصة. ثالثاً، القضاة والرؤساء من الرجال ليسوا ممن يعمل ليل نهار بلا كلل ولا ملل ولا فتور ولا تحكم هوى وعصبية وطلب دنيا واستحواذ شيطان، ومع ذلك أجازوا لهم القضاء والرئاسة، فليكن للمرأة كذلك. رابعاً، حتى إن فرضنا جدلاً أن المرأة التي تحيض غير مؤهلة لتلك الوظائف فهذا لا يعني عدم تأهل المرأة مطلقاً بل أقصى ما فيه أن يتم اشتراط سنّ معين للمرأة حتى تصبح قاضية ورئيسة كما يُشترط الآن في كل مكان وجود سنّ معين للرجال ليتولوا وظائف معينة، فليكن للمرأة كذلك وليكن بعد سنّ انقطاع الحيض، هذا أقصى ما في الأمر. لكن الحق أننا نرى الآن وعبر التاريخ نساء كثر في كل المجالات يعملن في القضاء وفي الرئاسة وفي أمور كثيرة أشدّ تعقيداً وأهمّية من هذه الوظائف السياسية ومع ذلك لم نجد هلوسة الحيض هذه معتبرة فيهن. إذن، لا القرءآن، ولا الرواية، ولا الفقه، ولا العقل، ولا المشهود، حجّة في مسألة الحيض هذه.

على هذا النمط، تأمل القرءان وقل لي إن وجدت فيه شيئاً يعارض ما سبق إن استطعت.

د-في المذاهب الفقهية.

أمّا مسألة الإمامة في الصلاة (سأنقل من كتاب بداية المجتهد لابن رشد إن شاء الله).

قال ابن رشد {اختلفوا فيمن أولى الإمامة. فقال مالك "يؤم القوم أفقههم لا أقرؤهم" وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة والثوري وأحمد "يؤم القوم أقرؤهم". والسبب في هذا الاختلاف اختلافهم في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا بالسنّة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم إسلاماً. ولا يؤم الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه". وهو حديث متفق على صحته لكن اختلف العلماء في مفهومه. فمنهم مَن حمله على ظاهره وهو أبو حنيفة. ومنهم مَن فهم من الأقرأ ههنا الأفقه لأنه زعم أن الحاجة إلى الفقه في الإمامة أمسّ من الحاجة إلى القراءة وأيضاً فإن الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه ضرورة وذلك بخلاف ما عليه الناس اليوم.}

أقول: أوّلاً، لاحظ أنه لا توجد لديهم حجّة من كتاب الله في هذا الباب، وإنما اختلفوا في فهم الرواية.

ثانياً، لا يوجد في الرواية نفسها كلام عن اشتراط الذكورة والأنوثة. بل كل ما فيها كلام عن مقومات تصلح للذكر والأنثى معاً، مثل قراءة كتاب الله والعلم بالسنة والهجرة والإسلام.

ثالثاً، لاحظ اختلاف العلماء في مفهومه، فحتى كلمة {أقرؤهم} اختلفوا هل المقصود قراءة الألفاظ أو فهم المعاني. بالتالي ليس رأياً واحداً.

رابعاً، وهو مهم، لاحظ أن الرأي الآخر نظر إلى اختلاف حال الناس والزمان، {وذلك بخلاف ما عليه الناس اليوم}، يعني في زمان الصحابة كان الأقرأ هو الأفقه لأنهم كانوا يتعلمون تلاوة الألفاظ وتعقّل المعاني معاً، خلافاً لما صار عليه حال الناس بعد ذلك من انفصال أهل التلاوة اللفظية عن أهل الفقه والتحقيقات المعنوية. فاختلاف الزمان هنا أدّى إلى اختلاف تطبيق الحكم بل وفهم ذات الكلمة من ذات الرواية. بالتالي، إن قلنا نحن: اختلاف الزمان الآن عن ما كان عليه الحال في تلك الأزمان في قضية تعليم المرأة وقدرتها ومكانتها الاجتماعية وكسبها وما إلى ذلك يؤدي إلى اختلاف تطبيق تلك الأحكام القديمة فلم نأتي بجديد.

ثم ذكر ابن رشد مسألة إمامة الصبي وإمامة الفاسق. وذكر آراء تجيز إمامة الصبي وإمامة الفاسق المقطوع بفسقه. أقول: إن كان يوجد مذهب فقهي يجيز إمامة صبي وإمامة فاسق مقطوع بفسقه، فليس شططاً أن يقال: تجوز إمامة المرأة البالغة الناضجة الفقيهة... التي ليست فاسقة مقطوع بفسقها !

ثم ذكر موضوع كلامنا. قال ابن رشد {المسألة الرابعة: اختلفوا في إمامة المرأة. فالجمهور على أنه لا يجوز أن تؤم الرجال. واختلفوا في إمامتها النساء: فأجاز ذلك الشافعي ومع ذلك مالك وشذّ أبو ثور والطبري فأجازا إمامتها على الإطلاق. وإنما اتفق الجمهور على منعها أن تؤم الرجال لأنه لو كان جائزاً لنقل ذلك عن الصدر الأول، ولأنه أيضاً لما كانت سنتهن الصلاة التأخير عن الرجال علم أنه ليس يجوز لهن التقدم عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام "أخّروهن من حيث أخّرهن الله"، ولذلك أجاز بعضهم إمامتها النساء إذ كن متساويات في المرتبة في الصلاة، مع أنه نقل ذلك عن بعض الصدر الأول، ومن أجاز إمامتها فإنما ذهب إلى ما رواه أبو داود من حيث أم ورقة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها في بيتها وجعل لها مؤذناً يؤذن لها وأمرها أن تؤم أهل دارها"}

أقول: أوّلاً، لا يوجد لا قرآن ولا حديث صحيح ولا حتى إجماع بدعواهم على عدم جواز أن تؤم المرأة الرجال، ويكفي أنه لا يوجد قرءآن. لذلك قال {فالجمهور على أنه لا تجوز أن تؤم الرجال} والجمهور عنده لا يعني جمهور المسلمين، أو جمهور العلماء مطلقاً في كل عصر، وإنما يعني بضعة فقهاء معدودين جمهورهم اتفق على هذا الرأي. وهذا لا يلزم المسلمين بشيء، فكم من شيء يعمل به المسلمون جميعاً و"الجمهور" على خلافه في مسألة أو في أخرى. فقد يكون الجمهور على خلاف قول الشافعي، ومع ذلك يعمل الشافعية به. وقد يكون في مسألة أخرى الجمهور فيهم الشافعي، لكن الحنفي على خلافه ومع ذلك يعمل الحنفية به.

فالعمل بخلاف ما عليه الجمهور ليس معصية قطعاً ولا حتى مخالف للتقاليد. وكما قلنا، يكفي أنه ليس لديهم في منع إمامة المرأة أي دليل من كتاب الله. أما الرواية التي ذكرها "أخّروهن" فقال محقق الكتاب "لا أصل له في المرفوع وإنما هو من كلام ابن مسعود". فليس رواية عن النبي إذن. لكن الرواية المعتبرة "إسناده حسن. وقال الحاكم: لا أعرف في الباب حديثاً مسنداً غير هذا"، تدلّ على إمامة المرأة بالرجال كما هي الرواية المذكورة في المتن واحتجّ بها فقهاء مثل {أبو ثور والطبري} صاحب التفسير {فأجازا إمامتها على الإطلاق}.

ثانياً، ما هي حجج الذين منعوا إمامة المرأة بالرجال؟ الأولى {لو كان جائزاً لنقل ذلك عن الصدر الأول} أقول: هذه ليست حجّة، فعدم النقل لا يعني عدم الصحة، وكم من شيء لم ينقل عن الصدر الأول ومع ذلك هو أمر في كتاب الله وموافق للأصول وهو من السنن الحسنة، وكل المسائل التي لم يجدوا حجّة لها إلا الاجماع المدعى أو القياس أو غير ذلك من أصول الرأي عندهم كلها لم تنقل عن الصدر الأول، ثم ما أدراهم أنه لم يكن في الصدر الأول لكنه لم ينقل ومَن قال بأن كل ما كان في الصدر الأول قد نُقل وحُفظ فهذه دعوى أعرض من السماء. بل من وجه آخر، يردّ هذه الحجّة نفس قوله بعدها {مع أنه أيضاً نُقل ذلك عن بعض الصدر الأول} وهي الرواية التي ذكرها عن أم ورقة. فقال أولاً لم ينقل عن الصدر الأول، وقال آخراً أنه قد نقل عن بعض الصدر الأول، فردّ آخر كلامه أوّله. إذن حجّة باطلة جملة وتفصيلاً. الحجّة الثانية {لما كانت سنّتهن في الصلاة التأخير علم أنه ليس يجوز لهن التقدم عليهم} أقول: هذه مصادرة على المطلوب فهو يفترض أن {سنتهن في الصلاة التأخير} وهو محلّ الخلاف ولا يمكن الاحتجاج بمحلّ الخلاف على الخلاف ذاته. وأما إن قال، وهي الحجّة الثالثة، أن دليل كون سنتهن في الصلاة التأخير هو رواية "أخّروهن" فقد تقدّم أنها ليست من كلام النبي بل هي رأياً لابن مسعود، وقوله {أخّرهن الله} ما الذي يقصد به بالضبط وما علاقته بالصلاة؟ إن قال أن النساء يُذكَر بعد الرجال في القرءآن مثل "المسلمين والمسلمات" ونحو ذلك، فهذا لا يعني بالضرورة التقدم والتأخر في ظاهر الصلاة، فهو في أقصى الأحوال استنباط ورأي، وقد نقول بخلافه حين ننظر مثلاً إلى حقيقة الصلاة، فننظر مَن هو الأقرأ والأفقه والأعلم فيكون المتقدّم هو الأقرأ والمتأخر في الحقيقة هو الأقلّ قراءة وعلماً ونحو ذلك، ولا يكون النظر إلى الأبدان كشأن إبليس الذي ترك النفس والروح ونظر إلى الطين والنار. الحاصل: لديهم ثلاث حجج، ولا واحدة منها قرآنية أو قاطعة الدلالة.

ثالثاً، بما أنه يوجد من الفقهاء المعتبرين مَن قال بجواز إمامة المرأة على الإطلاق، فالقول بذلك لا يكون خروجاً على التقاليد السنّية، وصاحب هذا الرأي لم يأت بأمر جديد بل أحيا رأياً قديماً.

الحاصل: ما أن الأصل القرآني المساواة في الاعتبارات الدينية بين الرجل والمرأة، وبما أنه لا يوجد سبب للتمييز من حيث الأبدان، فالعبرة تبقى لمعايير القراءة والعلم والهجرة والإسلام وهي مما يشترك به الرجل والمرأة من حيث الجنس، فأولى الأقوال بالصواب ما قاله أبو ثور والطبري وهو جواز إمامة المرأة على الإطلاق كما تجوز إمامة الرجل على الإطلاق، ثم بعد ذلك يُنظَر في التفاصيل وقت التطبيق. والأقرأ لكتاب الله أولى الأمّة بكل خير. "خيركم من تعلّم القرءآن وعلّمه". وقبل ذلك قال الله "الذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إن الله لا يضيع أجر المصلحين".

أما بالنسبة لمسألة القضاء.

قال ابن رشد {وكذلك اختلفوا في اشتراط الذكورة. فقال الجمهور: هي شرط في صحة الحكم. وقال أبو حنيفة: يجوز أن تكون المرأة قاضياً في الأموال. قال الطبري: يجوز أن تكون المرأة حاكماً على الإطلاق في كل شيء.} ثم قال {فمَن ردّ قضاء المرأة شبهه بقضاء الإمامة الكبرى، وقاسها أيضاً على العبد لنقصان حرمتها. ومَن أجاز حكمها في الأموال فتشبيهاً بجواز شهادتها في الأموال. ومَن رأى حكمها نافذاً في كل شيء قال: إن الأصل هو أن كل مَن يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى}.

أقول: لاحظ أن سبب الاختلاف ليس من كتاب الله، بل ولا حتى في رواية عن النبي ولو ضعيفة. هي آراء فقهاء ذكور في أجيال كما ترى فيها استعباد الرجال وقياس المرأة على " العبد" من حيث "نقصان حرمتها". هذا لا يلزمنا في شيء، في زماننا هذا الذي لم يعد فيه استعباد الناس مقبولاً عند عامّة الناس والأمم، ولا اعتبار الإنسان سلعة تباع وتشترى كالبهائم، ولا الاعتقاد بأن إنساناً أقلّ حرمة من إنساناً آخراً. هذه كلّها أمور ليست من كتاب الله ولا هم ادعوا أنهم اختلفوا في فهم كتاب الله. هذا أوّلاً.

ثانياً، الأصل كما ذكره هو أن {كل مَن يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز}، وهو أصل معقول بنفسه، وناظر إلى جوهر الفعل ومقصده. فمَن ادعى خلاف الأصل فعليه بدليل يقاومه ويعلو عليه، ولا دليل لديهم. فيبقى الأصل على حاله.

ثالثاً، وجد من الفقهاء من قال بجواز القضاء للمرأة على الإطلاق. وأبو حنيفة قال بالقضاء في الأموال خصوصاً. فهذا يكفي كسابقة لمن يتحرّج من عمل شيء بدون سابقة سلف صالح عنده.

رابعاً، تخصيص منع المرأة من {الإمامة الكبرى} يعني الإمارة ورئاسة الدولة، ليس بكتاب الله ولا حتى برواية عن النبي وإنما هو كما قاله {الإجماع}، والإجماع حجّة على مَن أجمعوا

أيا كانوا، فإن أجمعوا هم فليتزموا به وأما نحن فلا يلزمنا إلا ما نجمع عليه نحن في عصرنا. وليس بأيديهم حجّة من كتاب الله وإلا لما احتجّوا بالاجماع بل بالكتاب ولنصّوا على أن إجماعهم بسبب آية وليس كذلك وهيهات أن يجدوا حجّة جامعة على ذلك.

فيبقى الأمر إذن على أصله، من كون المرأة مثل الرجل يجوز لها تولّى القضاء بل والرئاسة، وكل منصب آخر في المجتمع، والنظر فقط يكون إلى الأهلية العملية ومقاصد المنصب بدون اعتبار للأجهزة التناسلية لشاغليها، فالخصي من الرجال والعنين يصلح لكثير من المناصب وإن كان لا يصلح للإنجاب.

بالمناسبة: هذا النوع من النظرة التبجيلية للأعضاء التناسلية يبدو لي أنه من بقايا الوثنية وعقائد الخصب والتخصيب وتقديس ذلك. فليُنظَر في أصول مثل هذه النظرة. وعلى أية حال، هي ليست من دين الله في شيء في هذا الباب. إنما هو اتفاق الناس في مجتمعهم وشؤونهم، فمن رأوا أنه أنسب ولّوه عليها والسلام.

هذا بالنسبة لموضوع سؤالك.

أما بالنسبة لقولك لصاحبك عدم جواز قياس الشهادة على الصلاة لأن الشهادة من المعاملات والصلاة من العبادات. فأقول:

القياس لعبة خطيرة، وأتحرج عن استعماله في الدين خصوصاً في تأسيس أمور ومنع أمور ووضع الأصول. كل شيء يمكن أن يشبه غيره ويتميز عنه.

فقد تقول الشهادة مثل الصلاة، من حيث أننا نحتاج إلى الثقة بصدق الإمام في أنه سيقوم بأعمال الصلاة في باطنه وأنه يعتقد بعقائد صحيحة ونحو ذلك من الأمور التي من المفترض أن تكون في الإمام حسب الشائع، فنطلب الثقة في الإمام كما نطلبها في الشاهد، أو كأن يكون الشاهد ينطق بواقعة ما كما أن الإمام ينطق بالقرءان وهو نوع شهادة على معرفته بالقرءان كما بلغه ويبلّغه للمأمومين فكأنه يشهد لهم بأن رسول الله بلغه هذا الكلام أو أن الله قاله (من هنا في الأذان يقول "أشهد..وأشهد").

وقد نقول: تقسيم الفقه إلى عبادات ومعاملات أمر راجع إلى الصنعة الفقهية وليس إلى الحقيقة الدينية. فالكل من عند الله، ولا يوجد تمييز قرآني بينهما من حيث أن الله هو المشرع، والعاقبة هي الجنة أو النار على حفظ الحدود أو تجاوزها، وكلها لها باطن روحاني وحق، ونحو ذلك من الاعتبارات.

لكن في المقابل، قد نقول: الشهادة ليست مثل الصلاة. الصلاة يعرف المصلّون جميعاً ما هي شروطها وواجبتها وشؤونها، وهم مسؤولون فقط عن ما يرونه من إمامهم، فيتأكدون أنه

يقرأ القرءان قراءة سليمة (لذلك يصححون له إن أخطأ)، وإن سها ونسي ركعة ذكروه بها، وهكذا المأموم مأموم من وجه لكنه إمام ومراقب للإمام من وجه آخر. وهذا بخلاف الشهادة. فإننا لا ندري ما هي الواقعة، ولذلك نطلب الشهود، ولابد من الثقة بهم كأشخاص والتأكد بأكبر قدر ممكن حتى نعرف صدق خبرهم من كذبه "إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة"، فلابد من النظر في شخصيته وأخلاقه للتأكد من ذلك بأكبر قدر ممكن. فعلمنا بالصلاة، وعدم علمنا بالمشهود به، يجعل الإمام غير الشاهد من حيث عدم حاجتنا إلى الثقة بالإمام لأننا نرى ما يقوم به في الصلاة. وأما ما لا نراه منه فـ "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها". إلا أن مَن أراد التحرّي من هذا الجانب أيضاً قاس على الشاهد وطلب النظر في الحالة الإيمانية عقلاً وخُلقاً للإمام. فالأمر محتمل للوجهين. فمن قال "لنا الظاهر والله يتولى السرائر" اكتفى بظاهر ما يقوم به الإمام من الصلاة المعروفة. ومَن نظر إلى روح الصلاة والآثار المعنوية الممتدة على المأمومين بحسب حال إمامهم قال بالتحرّي والقياس على الشاهد. وكلاهما له وجه.

أما قولك بأن الوظائف المدنية لم يرد فيها حكم. فأقول: من وجه نعم، والنظر فيه إلى نظر الناس في حالتهم الدنيوية والتشاور والتراضي والنظر العقلي بأحسن ما يسعهم. لكن من وجه آخر، قد توجد أمور مدنية مبنية على ولو أصول دينية وهذا ما يحتجّ به البعض في أمور مثل القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما أنا فأرى أن كل ما ورد في أوامر الدين إما له باطن هو المقصود وإما ظاهره مبني على اختيار الناس بحسب ما يرونه في مجتمعاتهم إن كان ظاهره كذلك وليس من باب الجبر في شيء. وفي باب ولاية المرأة يرجع هذا إلى حال الناس في كل زمان، وما يرونه أقرب إلى العقل والعدل والإحسان. فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم، وإن أساؤوا فعليها، وما ربّك بظلّام للعبيد.

والحمد لله رب العالمين.

وردتني أسئلة منه عن المقالة أجملها في ما يلي:

١-عن التأويل الباطني لآية القوامة. أقول: من تأويلاتها أن الرجل هو العقل، والمرأة هي الإرادة. والعقل مفضّل من حيث أنه الذي يتلقّى نور الوجود، بينما الإرادة تابعة للعقل في

معلوماته، ولذلك العقل قوّام على الإرادة بسبب فضل درجته وبما أنفق من أموال الأقوال الصادرة منه.

٢-عن مباشرة النبي عائشة. أقول: الرواية صحيحة عند أهل السنّة، والمعنى صحيح قرآنياً من حيث أنه لا يخالف الأمر المباشر باعتزال مكان المحيض تحديداً. والفكرة هنا هي أن الأصل هو التيسير في الشريعة، والتقييد والمنع بشكل عام صعب ومكروه، فمن رحمة الله بعباده أن لا يقيّدهم إلا فيما فيه ضرورة لهم "إثمهما أكبر من نفعهما". فلمّا كان النهي متعلق بمكان الحيض حصراً، كانت السعة تقتضي ترك ما سوى ذلك مباحاً.

٣-عن لو كان النساء هم الذين يفسّرون الأحكام هل كانت ستختلف الأحكام. أقول: ممكن، بل لعله هو الراجح، لأن الأحكام القطعية المطلقة القطع من كل وجه لن يختلف تفسيرها بين الفقهاء رجالاً كانوا أو نساءً، لكن بالنسبة للأمور الراجعة إلى الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية والعوامل النفسانية والتي تشكّل خلفية الفقيه حين يُنزّل تطبيقات الأحكام على واقعه الخاص فهذه ستختلف ما بين الرجال والنساء، فالرجل المتعصّب لنفسه سيميل عادةً إلى كفّة قوّته هو على حساب قوّة المرأة. فمثلاً لن يبالي هؤلاء الرجال بقياس المرأة على العبد في نقصان "حرمتها" كما قالوا، لكن هذا القياس ليس من الشريعة القطعية بل هو هوى رجال، ومثل هذا الهوى يناسب ما هم عليه من إرادة الاستعلاء على النساء، لكن لو كان الأمر بيد المرأة فلا أظن أن النساء سيقيسون أنفسهم بالمستعبدين المقهورين، بل يقيناً لن يفعلوا ذلك لكنهم سيقيسوا أنفسهم بالأحسن والأكرم.

٤-بالنسبة للشيعة. أقول: نعم حسب اطلاعي يشترطون النظر في عقيدة وأخلاقية الإمام. فنظرهم إلى الباطن وليس إلى الظاهر في هذا الأمر.

الله يفتح لك ويزيدك.

...

{يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين ءامنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور}

{للذين ءآمنوا} تعني "المؤمنين والمؤمنات" بدليل ما ورد في الآية التي قبلها {يوم ترى المؤمنين والمؤمنات}. بالتالي هي تسمية تشمل الرجال والنساء من أهل الإيمان. وعلى هذا النسق عموم {الذين ءامنوا} في القرءان، إلا ما خرج بدليل خاص.

النفاق فيه عمل بلا نور. لذلك قال قبلها {يسعى نورهم} ونفى النور عن المنافقين، ثم قال بعدها بآيات {والذين ءامنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم}. فالمؤمن له الأجر والنور، لكن المنافق ليس له النور، وحيث لا نور فلا أجر "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا" فهذا العمل هو عمل المنافقين الذي كان ظاهراً بلا باطن. لذلك قال {فضرب بينهم بسور له باب} فالسور هو الدين، والباب هو طريق تأويل باطنها بالتعقل، وهو الباب الذي لم يفتحه المنافق ولم يعبر من خلاله. {باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب} فالمنافق بقي مع الظاهر دون الباطن، "لا تقولوا آمنّا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم". فالسور هو الدين، ظاهره الشريعة، وباطنه الحقيقة، وبابها الطريقة.

تأويل العذاب في القرءان على أنه الظاهر، مأخوذ من قوله {ظاهره من قبله العذاب}. لكن ليس كل ظاهر عذاب أليم، وإن كان عذاباً. لذلك قال {عذاب أليم} و {عذاب مهين} و {عذاب من رجز أليم} ونحو ذلك من التخصيصات للعذاب. فكل ظاهر عذاب، لكن ليس كل عذاب أليم ومهين. ولأنه عذاب كان العمل به جهاد وعليه الأجر "لا تنفروا في الحر" "جاهدوا في سبيل الله" "يوق شحّ نفسه".

الباطن ما وراء الظاهر. المنافق لم ينظر في ما وراء الظاهر، ففقد النور. النور باطني خالصي، قلبي، والقلب له التعقل والتفقه. لذلك قالوا لهم {ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا} عدلاً، لأنهم لم يرجعوا وراء الإسلام ولم يتدبروا القرءآن وينظروا في دبره أو خلفه وما وراءه، بل اقتصروا على الظاهر "يراءون الناس". الدين الظاهري بلا باطن نفاق.

...

{ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون، اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون} فالتعقل أن ترى الآية الآفاقية في نفسك، وتأخذ تأويلها الباطني المشهود في ذاتك. فالذي يحيي الأرض هو الذي يحيي القلب، وكما أن الأرض تحيى بالماء السماوي كذلك القلب يحيى بالكتاب الإلهي.

...

{سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة} لأنه سابق، كان القارئ مُصلّي، وهو الثاني في سباق الخيل. فالنبي هو المجلّي، "أنا أول المسلمين"، والمؤمن مصلّي "اتبعوني يحببكم الله".

...

قالت: ورد في القران الكريم ذكر الكتاب في مواضع كثيرة مثلا فيها من اوتوا الكتاب ، ماهو المقصود بالكتاب ؟ هل هي الاعمال التي نقوم بها.

قلت: له معاني كثيرة، بحسب المواضع المختلفة. لكن الكتاب من اسمه، كتاب، يعني الشيء الذي تُكتَب فيه الكلمات وتُجمع فيه الحروف. فقد تكون كلمات تكوينية مثل أحداث العالَم والوفيات "لكل أجل كتاب"، وقد تكون كلمات لسانية مثل آيات الوحي "كتاب الله". وعلى هذين تدور الأمور بشكل عام.

ولمزيد من التفصيل، راجعي كل الآيات التي ورد فيها لفظ الكتاب في القرءآن، من المعجم المفهرس أو المنقب القرآني، وادرسيها.

...

صيغة دعاء قرآني:

١-قل {تبارك الله رب العالمين}

٢-قل {هو الحي لا إله إلا هو}

٣-ثم ادعُ بما شئت.

٤-واختم بقول {الحمد لله رب العالمين}

هذه الصيغة مأخوذة من قوله تعالى {فتبارك الله رب العالمين. هو الحي لا إله إلا هو، فادعوه مخلصين له الدين، الحمد لله رب العالمين}.

...

{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}

الآية لا تقول: اليوم أكملت الدين وأتممت النعمة ورضيت الإسلام ديناً. أكثر الناس يفهمون الآية وكأنها جاءت بهذه الصيغة التجريدية الكلّية المطلقة. واقع الآية بخلاف ذلك.

الآية تقول {اليوم أكملت لكم دينكم} لاحظ {لكم} فهذا قيد لقوم بأعيانهم، ثم لاحظ {دينكم} وليس الدين مطلقاً بل {دينكم} فالكلام عن دين هؤلاء الذين يخاطبهم تحديداً. كذلك بعدها، {أتممت عليكم نعمتي} لاحظ {عليكم} وليس على غيركم ولا من بعدكم ولا كلكم بل {عليكم} تحديداً. كذلك بعدها {رضيت لكم الإسلام ديناً} لاحظ {لكم} وليس لغيركم ولا لكل أحد بل {لكم} تحديداً.

الدين والنعمة والإسلام مفاهيم لها حقيقة مطلقة، ومظاهر مقيدة. الحقيقة المطلقة عند الله {إن الدين عند الله الإسلام} {ما بكم من نعمة فمن الله} {دين الله}. لكن {دينكم} {عليكم نعمتي} {لكم الإسلام} هي ظهور تلك المطلقات في حدود قوم بأعيانهم في زمان ومكان ما.

كمال الدين والنعمة والإسلام لقوم لا يعني كماله لكل قوم. بل لكل قوم دينهم ونعمتهم وإسلامهم، بحسب مدى تمثّل وتنزّل وتجلّي الدين الذي عند الله لهم وقبولهم له قبولاً تامّاً.

...

فرغت قبل قليل من كتاب {إسلام المجددين} من سلسلة "الإسلام واحداً ومتعدداً" ولدي بعض التعليقات فيما يتعلّق بهذا الموضوع أجملها في ما يلي إن شاء الله:

عمل هؤلاء محكوم ليس بالإسلام ولا بالعقل ولا بالموضوعية بأي شكل ودرجة. هؤلاء، ومن تصريحات في الكتاب نفسه وتلميحات ظاهرة، لديهم هدف واحد وهو إقامة مجتمع حداثي بالشكل الذي يتخيّلونه للحداثة، وكل ما سوى ذلك يجوز هدمه في سبيل ذلك. لذلك عملهم لن يكون مثمراً في الأمّة الإسلامية، لأنهم لا يريدون الإسلام أصلاً وجوهرياً، هم يريدون الحداثة الغربية بشكل معيّن ومفاهيم معينة، وكل ما سوى ذلك عرضي وطارئ أو زائف أو يجب رفضه بلطف أو بتعسّف ووقاحة أيضاً إن اضطر الأمر.

تقليدهم للغرب يظهر بصورة معلنة وفجّة على مستوى المنهج والنتائج بل وحتى المصطلحات أحياناً كثيرة. فهم يدعون المسلمين إلى رفض "تقليد" الفقهاء والأسلاف بل حتى النصوص القرآنية والنبوية، لكنهم في المقابل يمارسون ويدعون إلى تقليد الغرب في صورة واحدة حتى من صوره وليس في كل صوره الممكنة. هذا تناقض شنيع يضرب جوهر مشروعهم.

مثال بسيط من أمثلة كثيرة لعلّنا نتناولها يوماً إن شاء الله بالتفصيل بنقد الكتاب كلّه، هو مثال رفضهم لعقوبة قطع يد السارق. يقترح بعضهم عقوبة السجن. أقول: غاب عنهم أن السجن نفسه عقوبة أشدّ للإنسان من حيث إنسانيته ليس فقط من قطع يده بل من قتله، وهم أنفسهم ينقلون أن الحرية هي "ذات الإنسان"، ويعظّمون الحرية وينشدون لها التسابيح الكثيرة، وهي تستحق ذلك، لكنهم لا يشعرون بأن عقوبة السجن وهي سلب الحرية أشدّ من أي عقوبة أخرى. هذا أوّلاً. ثانياً، غاب عنهم أن كثير في الغرب، وفي أمريكا تحديداً، يسعون إلى إلغاء السجون، ويعتبرونها مؤسسة فاشلة من حيث مقاصد إصلاح المجتمع والمجرمين وكذلك مكلفة وسيئة ومدرسة إجرامية ولا إنسانية وهلمّ جرّاً. فالاستبدال الأعمى لقطع اليد بالسجن على أنه "أكثر إنسانية" على أساس أن الجسد البشري له "حرمة" و كرامة، يُغفل

حقائق كثيرة ومن أبرزها أيضاً أن السجن ذاته عقوبة مهدرة للإنسانية مطلقاً وتجعل الإنسان في صفّ الحيوان والوحش، فضلاً عن أن السجن-ويا لغفلة هؤلاء "المجددين"-هو أيضاً عقوبة بدنية مباشرة وغير مباشرة، مباشرة من حيث أن الإنسان لا يذهب إلى السجن طوعاً بل سحباً وجرّاً وجبراً وبقيود الحديد وكل ما يتعرّض له إلى أن يدخل السجن من تعرّض لحرمة بدنه مثل التفتيش (الذي قد يكون تفتيشاً عارياً وفحصاً حتى لمؤخرته بحثاً عن المخدرات أو غير ذلك) إلى أن يودع في حبسه كالكلاب المسعورة وحيوانات حديقة الحيوان، وهو فوق ذلك عقوبة غير مباشرة للبدن من حيث ما سيتعرّض له عادةً السجناء من عنف متبادل وهذا بديهي حين تضع مجموعة من الرجال في مكان مثل ذلك فما الذي سيخرج منه إلا ذلك. مستوى التفكير الضحل جدّاً والتقليدي (لأسوأ ما في الغرب أحياناً) عند هؤلاء "المجددين" هو أحد مقاتل مشروعهم وسخف شخصياتهم، والتي لا يزيد سخافتها إلا طول وعرض وعمق دعواهم بأنهم مؤهلين للإتيان بـ"إسلام جديد".

كثرة ذكر هؤلاء لعبارة "المؤسسة الدينية" وما يتعلّق بها، هو إسقاط سخيف جداً لحالة الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا على وضع الإسلام. ويتخيّل هؤلاء أن الإسلام بحاجة إلى " لوثر" (والعياذ بالله) ليصلح الأمور. جهل مطبق وعنيد بوضع المسلمين بل وبوضع المسيحيين أنفسهم، وقياس فاسد بالغ الفساد يصلح أن يكون نموذجاً لتدريس القياس الفاسد.

لا يوجد في أي كتاب تفسير أو حديث أو فقه بل حتى النحو والتصوف، أي موضوع إسلامي إلا ومنذ قديم الزمان بل وفي كتب الفرقة الواحدة آراء متعددة مختلفة. لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد أي مسلم يستطيع أن يقيم لنفسه وفرقته نوعاً من الكهنوت. الأمثلة الساذجة البسيطة في بلد أو بلدين لذلك، كالكهنوت الوهابي في السعودية والكهنوت الخميني في إيران، وما كان قبل ذلك بنحو أضعف، إنما هو دولة صنعت لنفسها مؤسسة، لكن لا يوجد عند المسلمين أنفسهم، ولا حتى عند العلماء، بل ولا حتى عند العلماء الذين يشكّلون تلك المؤسسات بشكل عام، أي قدرة حتى على التجرؤ لادعاء نوع من العصمة أو القداسة لآرائهم خصوصاً من دون جميع العلماء وجميع المسلمين مطلقاً كما هو الحال في الكنيسة الكاثوليكية ودعوى " لا خلاص خارج الكنيسة" بما تتضمّنه هذه المقولة من تفاصيل واقعية وكتب عقائدية لها سلطة ممثّل المخلّص والرب من ورائه في الأرض. نعم، توجد دعاوى وألفاظ هنا وهناك، لكن أصحابها أنفسهم إذا دققت لن تجدهم إلا أناس يزعمون بأنهم فهموا النصوص بالفهم الصحيح والسلطة هي لفهمهم الصحيح، وليس لأشخاصهم ولا للسلطة الدينية التي وضعها الله فيهم كأشخاص في مؤسسة. ثم ستجد الاختلافات بين هؤلاء أنفسهم ومع غيرهم كثيرة

جداً. المشكلة التي في بلادنا ليست مشكلة "الكهنوت الإسلامي"، لكنها مشكلة الدولة القمعية الاستبدادية، فقط لا غير. بمجرّد ما تزول الدولة الاستبدادية، وهذه لا علاقة لها جوهرياً لا بدين ولا كتاب مبين وإنما هي عصابة مسلحة تطلب المال والشهوة لأعضائها بالعنف، ستزول أي قدرة مهما قلّت لتلك الجماعات المدعية أنها ذات الفهم الواجب فرضه على الناس بالقهر. سلطة الدولة هي التي تعطي لهؤلاء ما لديهم من قوّة واقعية اجتماعية، لا ألفاظهم ولا أفكارهم، وهم يعلمون ذلك ولذلك يرضخون للدولة التي تدعمهم ويقولون للناس لها ما يشاؤون، لكن الناس عموماً يعلمون ويسهل عليهم أن يعلموا دجل هؤلاء وكونهم "علماء سلطان" كما يقال ومنذ قديم الزمان. محاربة الدين لا تخلّص الناس من الدولة الاستبدادية، فلدينا دول كثيرة مستبدة في البلاد العربية وهي دول علمانية بل إلحادية بل لعل استبداد هذه الدول العلمانية العسكرية أشدّ من الدول الملكية العائلية التي تستغل جماعة من الشيوخ الدجالين لصالحها. مشكلتنا الجوهرية ليست الكنيسة، لكنها الدولة. لا توجد لدينا لا تنظيمات كنسية، ولا طقوس كنيسة يحرم منها مَن لا يعتقد بعقائد معينة، ولا كتب خاصة يجب على الكل قبول محتواها التفصيلي بدون تعقل ولا اختيار خاص، وأشهر كلمة في كتب علماء المسلمين قديماً أيضاً هي كلمة "اختلفوا".

ثم إن "لوثر" هذا الذي ينتظرون مثله، لا أدري عن جهل أم عن تغافل، لم يكن مثالاً يُقتدى به في أي شيء عموماً. لا أريد الدخول في تفاصيل الدعوة أو الدعوات البروتستانتية، ومدى عنصريتها (كتاب لوثر نفسه ضدّ اليهود وما جاء بعد ذلك من أتباعه يكشف عن مدى " إنسانيته")، ومدى انبنائها أصلاً على التبعية لأمراء بعض البلدان الأوروبية الذين أرادوا الانفصال عن روما والاستحواذ على أملاك الكنيسة وما أشبه، ومدى عقلانيتها وهي ذات التحريف والتخريف الكثير جدّاً. لكن يكفي أن نقول في هذا السياق، أن أي دراسة تفصيلية للوثر نفسه وللمذاهب البروتستانتية عموماً، لن تجعل العاقل الحر المؤمن يخرج بتمنّي واحد مثله ومثل تلك الحركات في الإسلام. هذا وجه. وجه آخر، المتعصّبون اليوم بشكل عام في الغرب هم على الأغلب ينتمون إلى البروتستانتية، والذين يريدون إقحام الدين في السياسة وجعل السياسة تسير وراء مذاهبهم هم منهم أيضاً وغيرهم ولكن أكثرهم منهم، والذين يدعمون بالدين الأفكار الرأسمالية بأشنع صورها ستجدهم أيضاً منهم، ودراسة آثار هؤلاء الحالية وليس فقط التاريخية تكشف لك ذلك. وجه ثالث، إذا نظرنا في لوثر والبروتستانت عبر التاريخ، كالذين هاجروا إلى أمريكا مثلاً، ستجد أنهم حين أسسوا مستوطناتهم فيها لم يكونوا أنصاراً للديمقراطية والمساواة بين الجنسين وحرية التعبير وما أشبه، بل كانوا يقرّون عقوبات العهد القديم اليهودي وأحياناً يزيدون عليها ومن ذلك قتل أصناف كثر من الناس على جرائم مختلفة

عندهم والتي منها الردة والسحر وما أشبه، فالحركة اللوثرية ليست مرادفة لما يتخيّله هؤلاء من قيم الديمقراطية والليبرالية وما شاكل. التعصّب الذي نشأ ولا يزال في البروتستانت لعله يغلب التعصّب الموجود عند غيرهم من فرق المسيحية. البروتستانتية ليست مرادفة للتسامح لا على المستوى الديني ولا على المستوى السياسي والاجتماعي، ليس بالضرورة ولا حتى غالباً ولا عبر التاريخ ولا اليوم. الأمر ليس بهذه السهولة التي يصوّرها القوم.

"المجددون" يريدون نقد "القديم"، لكن ما هو "القديم" بالضبط؟ هل كل ما هو من الماضي؟ حسناً، إذن كتب المجددين أنفسهم هي من القديم، لأنهم كتبوها قبل مائة سنة، أو قبل عشر سنوات، أو قبل عشرة أيام، أو حتى قبل عشرة ثواني، فهذا أيضاً "ماضي" بالنسبة للآن. هذا أمر لمن يريد الدقة العقلية. أمر آخر، هؤلاء يستعملون حجّة "رفض القديم" حين يجدون أمراً يكرهونه، لكن لا يستعملونها حين يجدون أمراً يقبلونه، فالقديم عندهم مرفوض أو مقبول ليس لأنه قديم-كما هو مقتضى التكرار الممل الذي يشتمون به القديم-لكن بحسب هواهم واختيارهم هم.

"المجددون" أيضاً يريدون التعددية...إلا في الأمور التي لا يريدون التعددية فيها ! ففي كل أمر لابد من آراء كثيرة، إلا في الأمور التي لابد أن يكون فيها رأي واحد.

مثلاً، المساواة بين الجنسين في كل الأمور الاقتصادية والاجتماعية، هذا لابد أن يكون فيه الناس على رأي واحد، وفرضاً وبقوّة القانون إن استطاعوا، بغض النظر عن آراء الرجال والنساء في المجتمع من المسلمين تحديداً وغيرهم عموماً. وكأن المساواة المطلقة هي أمر يريده كل النساء أنفسهن، وبالضرورة وبدون حتى النظر في رأيهن. قل للنساء: ستكونوا على قدم المساواة المطلقة مع الرجال، فلن يحق لك أن تطالبيه بنفقة ولا بأي حقوق مالية كما أنه لا يحق له أن يطالبك بأي عمل صغير أو كبير ولا بمال ولا بشيء. الآن اذهب وانظر كم امرأة ستوافق على ذلك. التدقيق في "عدم المساواة" من وجه، يكشف عن وجود أفضلية من وجوه أخرى للنساء على الرجال، لكن هذه يتم تغييبها. مثلاً، يتم افتراض خروج الرجل لكسب المال على أنه أمر جميل وحسن ومقبول، ولذلك لابد من إخراج المرأة للعمل أيضاً مثل الرجل، لكن مَن قال أصلاً أن خروج الرجل للكسب هو أمر حسن ويريده كل الرجال؟ لماذا تؤخذ هذه كمُسلَّمة؟ الوضع الآن بشكل عام: المرأة تعمل في البيت والرجل يعمل خارج البيت. هؤلاء يريدون القول: المرأة والرجل يعملان خارج البيت. فمن أين لكم أن كل الناس أو حتى أكثرهم يريدون هذا؟ ولماذا لا نقول برأي ثالث نطرحه على الناس: الرجل يعمل في البيت والمرأة تعمل خارج البيت.

أو رأي رابع: لا يوجد نمط واحد وكل اثنين يختارا ما يحبانه لأنفسهما بلا إكراه. أو أو غير ذلك. أخذ آخر ما هو شائع في بعض المجتمعات الغربية، بعضها وليس كلها، على أنه هو الحل الصحيح الوحيد الذي يجب أن يتم قسر ورفض وتحريف التقاليد الإسلامية كلها حتى تتواءم معه، يكشف مرّة أخرى عن السطحية بل الغباء السمج لهؤلاء "المفكرين".

"المجددون" يتكلّمون عموماً في العموميات، بدون حتى النظر في واقع التجارب الغربية، بتاريخها وإيجابيتها وسلبياتها ومجادلات أهلها أنفسهم.

مثلاً، يريدون "الديمقراطية". ثم يشحنون بعدها كلمات عامّة مثل "حرية التعبير" و بقية القائمة. لكن ماذا يقصدون فعلياً بالديمقراطية؟ ديمقراطية أمريكا أم المكسيك أم كندا أم بريطانيا أم ماذا؟ ثم لماذا يجب أن نقلّد أحداً من هؤلاء أصلاً؟ وعن حرية التعبير، هل أزعجوا أنفسهم بالدخول في قوانين التعبير من أمريكا فما دونها؟ هل عرفوا التعقيدات الكثيرة عبر التاريخ وإلى اليوم المتعلقة بهذه المسائل؟ هل يعرفون الفرق بين التعبير في كندا وفي أمريكا مثلاً وماذا اختار كل واحد منهم طريقاً خاصاً؟ أم أنها "حرية التعبير" والسلام هكذا في الهواء.

توجد بعض الأمور التي يريد هؤلاء من العرب المسلمين اليوم قبولها، أمور طبعاً مستوردة كمعلّبات باردة من بعض الكتب الغربية والممارسات عندهم، لكن لا تجدهم يذكرون بالتفصيل مدى المعاناة وعلى مدى قرون طويلة لتقرير واحدة من تلك الأمور في تلك المجتمعات الغربية نفسها ولا كل الأخذ والرد الذي لابد من معاناته لتفعيلها ورسوخها، بل ولا حتى عدد الناس في الغرب نفسه الذين يرفضون تلك الأمور ويحاربونها حتى هذه الساعة.

الوهم الذي يلعب هؤلاء على ترسيخه في قلوب قرائهم وسامعيهم عادةً هو هذا: الغرب جبهة واحدة متقدمة وأنتم أيها المسلمون متأخرون متخلّفون. نوع من التصوّر الذي ينتقدونه على الإسلاميين وهم يقومون به تماماً لكن بألفاظ وعلى أسس أخرى. ينتقدون على الإسلاميين رؤيتهم العالَم كخير وشر وحق وباطل، لكن هم أنفسهم يرون الأمر كذلك لكن من وجهة أخرى، يرون الإسلام "التقليدي" هو الشرّ والغرب الحداثي هو "الخير"، وعلى هذا الأصل تجد ما تشاء بعد ذلك من أمثال مضروبة في كتبتهم وعلى ألسنتهم. فحتى ترسخ دعوتهم لابد من إيهام الناس أن "الغرب" شيء واحد، وأن قيمه الأساسية هي خير محض ولا جدل فيها ولا اختلاف ولا تنوع ولا تضارب ولا تناقض وآثارها كلها أو بشكل عام خيرة صالحة يحبها معظمهم بلا جدل ولا تردد. بعبارة أخرى، يصوّر هؤلاء الحداثة على أنها عقيدة، والإسلام عقيدة، ولابد من هيمنة العقيدة الحداثية على العقيدة الإسلامية، أو عند البعض

الآخر لابد من إبطال ونسخ العقيدة الحداثية للعقيدة الإسلامية. الحداثيون والإسلامويون وجهان لعملة واحدة، في الحقيقة. نفس نمط التفكير، نفس إسلوب الإقصاء والتسخيف، نفس نمط الضحك على الذقون. الواقع أنه لا "الحداثيون" شيء واحد، ولا "الإسلاميون" شيء واحد، لا في القديم ولا في الحديث. الجهل بالتفاصيل هو أحسن وسيلة لمن يريد توهم الوحدة في الطرفين أو حتى ما يقرب من الوحدة.

أكبر خطأ عند "المجددين" تركيزهم على محاربة الدين بدلاً من محاربة الدولة المستبدة. كل ما يريدونه في الحقيقة وفي نهاية التحليل يرجع إلى استبداد الدولة، التي ستفعل ما تفعله بدين تقليدي أو بدون دين. فهم يطعنون الظِلّ، ويتركون الشخص الذي هو الأصل.

مستوى العبث بالقرءان، ورائحة الإلحاد تفوح من كلمات هؤلاء، ومن منهجهم، ومن نتائجهم. لا يرجون لله وقاراً، ولا يبدو أنهم يؤمنون بالمعاد أصلاً. ويحسبون الدين-مرّة أخرى، كالسلفية عموماً-مجرّد وسيلة للضبط الاجتماعي وصناعة الدول. جرأتهم على كتاب الله عجيبة، وأعجب منها قول بعضهم أنه يؤمن بكتاب الله حقاً ويسمّي نفسه مسلماً بالرغم من الدعاوى التي يطلقونها. حين لا يريدون على ما يبدو جرح المؤمنين بالقرءان، تراهم ينسبون انتقادهم لـ"الإسلام التاريخي" و "الفقهاء" وما أشبه، لكن إذا دققت في ما يقولونه وما الذي ينتقدونه، ستجده انتقاداً للقرءان ذاته في كثير من المواضع. حين أقرأ لحداثي يتحدث عن الدين أشعر بما أشعر به حين أقرأ لوهابي: أني في بيت نفس كافرة مظلمة. لكن الحداثي يزيد على ذلك بكونه جباناً، وليس فقط كافراً مظلماً. جبان لأنه يواري ويداري في مئات الصفحات، ويلقي كلمة هنا وكلمة هناك، وغايته في النهاية دعوة المسلمين إلى الكفر بالله ورسوله وكتابه. يشتمون المجتمعات الإسلامية بأنها منافقة، وهم يمارسون أشدّ أنوا ع النفاق.

هذه بعض التعليقات المختصرة. وراجع الكتاب المذكور ونحوه من الكتب إن شئت لترى لماذا قلت ما قلته. وإن جاء يوم إن شاء الله نفصّل فيه القول أكثر وبالنصوص سنرى بوضوح أشدّ مصدر هذه التعليقات، لكنها نافعة بإذن الله لمن يريد الدخول في كتابات هؤلاء ليرى بنفسه ما فيها. ولا يخفى أن ما ذكرته لا ينطبق على كل فرد منهم بالضرورة، لكن كل تعليق ينطبق على بعضهم، فهو ليس حكماً على كل شخص شخص لكنه تعليق مجمل على جملة الحركة التجديدية المزعومة.

...

ليس للأمر الواقع حجّة بذاته. كل ما هو واقع الآن في مكان ما هو غير واقع في مكان آخر. كل ما هو واقع الآن لم يكن واقعاً من قبل. كل ما هو واقع الآن وقع بأسباب ولا يزال واقعاً بأسباب كلها ليست ضرورية بل هي بفعل بعض الناس ولمقاصد عندهم.

...
{إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً} الصدّ ليس عن ما أنزله الله، لكن عن الرسول. تركوا الرسول الحي بينهم حتى يحرّف كل واحد ما أنزله الله بحسب هواه. فإذا فشلوا رجعوا إليه وقالوا {أردنا إحساناً وتوفيقاً}. لا إحسان ولا توفيق بدون الرسول، لذلك قال بعدها {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} فالمقصود من الصدّ السابق هو التالي: حصل بينهم تشاجر فبدلاً من التحاكم إلى الرسول الحي بينهم اعتقدوا أن بإمكانهم حلّ تشاجرهم بدونه، سواء كانوا ممن يعتقد أنه بإمكانهم على نفاقهم، يعني بدون نور الإيمان القلبي، أن يفهموا ما أنزل الله ويحكموا به، أو ممن ينكر المنزل والرسول معاً ويبحث عن تأليف بين الناس بدون الله ونعمته البيانية والرسولية، ففشلوا. المنافق مسلم وليس بمؤمن، فليس في قلبه نور الله، كما قال عنهم في الحديد {ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً} ثم ذكر السور وكان لهم الظاهر فقط أي العذاب. الذين يأخذون ما أنزل الله بدون نور الإيمان في قلوبهم، وهو الرسول الذي في النفس "وفيكم رسوله" أو بالتحاكم إلى الرسول الحي في وقتهم "يحكّموك"، هؤلاء سيفشلون في توحيد الناس ورفع النزاع. الاعتقاد بأن القراءة الظاهرية للقرءان كافية لحل أمور المسلمين وتوحيدهم هو من آثار النفاق الباقية في الأمّة.

...
{حبالهم وعصيهم} أحلامهم المنامية ورؤاهم الخيالية في اليقظة.
{فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون} اقرأ القرءان حين تستيقظ، خذ به ودع خيالاتك، {ما فرّطنا في الكتاب من شيء}.

...
{لكم نصف ما ترك أزواجكم} للرجل أن يعمل مع زوجته ما يشاء حتى إن كانوا أجسامهم مفترقة في أماكن مختلفة. فكما أن الميت يرث من مال الميت، كذلك للمفارق أن يأخذ بما يميل إليه من المفارق له في المكان. فما الموت إلا كالمفارقة من وجه، وكل ما تميل إليه من المال.

{الله عليم حليم} عليم بما يصلحكم، حليم على جهلكم وغفلتكم عن نعمته السابغة عليكم. فلا تسأل الله عن أمر هو عندك لكن رأيك الباطل يحجبك عن معرفة عطائه الحاضر عندك بفضله تعالى. السؤال عن الموجود من الجحود، وعدم الشكر على النعمة النازلة من الكفر.

كمال النفس في الخلوة والجلوة، وكمال الحس في الانتظام والغرابة. فأكمل نعمة سماوية لنفسك أن تُجمَع لك خيرات الخلوة والجلوة، وأكمل نعمة أرضية لحسّك أن تُجمَع لك خيرات الانتظام والغرابة. فقل الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة.

المؤمن لا يزال بين {إحدى الحسنيين}، أينما نظر وجد نعمة الله. فإذا نظرت فلم تجد نعمة الله سابغة عليك، وسؤالك منه ليس حاضراً عندك، فاعلم أنك أعمى وأنك كفرت. فراجع وتب إلى الله، وأهمّ ما يعميك آرائك الباطلة وعقائدك الظلامية وعنادك السفيه. المؤمن يقول "الحمد لله" من قلبه وبسبب العقل والفقه وليس بسبب التلفظ الكاذب والتقليد الساذج، بل يقول " الحمد لله" أينما نظر وأيا كان حاله مطلقاً. فإذا لم تجد الحمد يخرج من قلبك صادقاً، فاسأل الله أن ينير بصيرتك ويمدّ عقلك بالعلم بحقيقة الأمور وبواطنها وعواقبها. {الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور}.

...

قال صهيوني: الرب أعطانا أرض فلسطين من عهد أبينا إبراهيم، فلماذا تعارضونا وترفضون كمسلمين ذلك وتحاربون إرادة الله. نحن سنحارب حتى نأخذ الأرض التي هي حقّنا بتمليك الله.

أقول: ولا حتى كتابك يقول هذا. اقرأ سفر التكوين. الفصل ٢٣. إبراهام أصرّ مرّات وكرّات على شراء الأرض التي سيدفن فيها سارة زوجته. بالرغم من أن أصحاب الأرض عرضوا عليه أخذ أي أرض شاء، وبالرغم من أن صاحب الموضع الذي اختاره إبراهام أصرّ عليه أن يأخذ الأرض كهدية، فإنه مع كل ذلك ترجّاهم ترجّي ورفض رفضاً قاطعاً أخذ الأرض بغير دفع مبلغها الكامل التام بسعر السوق في ذلك الزمان وبحسب ما أخبره بسعرها صاحب الأرض نفسها والذي كان يترجّاه أن يأخذ الأرض كهدية وهو يرفض ويصرّ على أخذها بمقابلها المالي الكامل. هذا بالرغم من أنه في نفس الكتاب ورد أن الرب قال له بأنه سيعطيه الأرض. ومع ذلك، سمّى إبراهام نفسه "غريباً" في تلك الأرض ولم يعتبر نفسه مالكها لمجرد وعد الرب أن يعطيه إياها.

ما معنى هذا؟ معناه: إبراهام ميّز ما بين الحجّة اللاهوتية والحجّة القانونية. أن يعدك الرب بشيء لا يعني أن لك حقاً قانونياً وملكية شرعية لذلك الشيء بمجرّد ذلك الوعد. لا تلازم بين الوعد الإلهي والتملّك القانوني. قد يعدك بشيء، ثم ييسّر لك تحصيله قانونياً بحسب العرف الاجتماعي والنظام الظاهري، كما حصل فعلاً مع إبراهام، فإنه وجد قلوب أهل الأرض مائلة إليه ومؤمنة بأنه ولي مختار من الإله فهذا من إنارة الرب للقلوب، كذلك يسّر له ثروة لشراء الأرض بحسب سعرها وهذا أيضاً من رزق الله وتيسيره الأسباب لعباده، كذلك كان غريباً لا حق له في الأرض وفي تلك الأزمنة كان الغريب لا يتملّك الأرض أو يُعامل بقسوة وجفوة عادةً وريبة لكن فتح الرب قلوب أهل الأرض لإبراهام حتى يحسنوا معاملته ويرضوا بحصوله على الأرض التي أرادها. الإيمان والرزق والمودّة، هذه كلها وسائل لتحقيق الوعد الإلهي. لكن في نهاية المطاف، لم يحصل على الأرض إلا بالحجّة القانونية الشرعية المعتادة من شرائها من أصحابها برضاهم الكامل وبدون أي قسر وبدون أي بخس لحقّهم. وأصرّ على ذلك إصراراً عجيباً تجده في الفصل ٢٣ من سفر التكوين فراجعه ودقق في إصراره.

لماذا ذلك الإصرار الشديد منه؟ لعل ذلك كان حماية لمن سيأتي بعده ممن يعتقد بأن الوعد الإلهي يساوي التمليك القانوني، وتحديداً من نوع ما يزعمه هؤلاء الصهاينة.

من حق أي إنسان، خصوصاً إن كان يهودياً أو نصرانياً أو مسلماً، أن يتحرك في أرض الله ويهاجر فيها ويعيش في الأرض التي يؤمن بقدسيتها مثله مثل بقية الناس، ويكون التعامل على أساس واحد بين الجميع. لكن أن يأتي بعضهم ويقول "الإله أعطاني كذا فيحق لي أخذه بالغصب" فهذا من الغصب والعدوان والكذب على الله تعالى. وجد ولا يزال يوجد من اليهود والنصارى والمسلمين مَن يدعي مثل تلك الدعاوى، ويزيد بعضهم على بعض، فإن قال اليهودي "الإله أعطاني أرض فلسطين فيحق لي أخذها بالقهر" فيرد عليه المتعصّب الكذّاب مثله من المسلمين ليقول "الله أعطانا الأرض كلها ويجب أن تحكمها كلها الدولة الإسلامية فيحق لنا أخذها بالقهر". وعلى هذا النمط تجد المفترين على الله من جميع أهل الملل من المبطلين منهم، وليس كلهم. فلا يزال بحمد الله يوجد في كل أهل دين أهل حق وعدل يرفضون مثل تلك العقائد الفاسدة والجرائم الشنيعة والمظالم العنيدة.

نعم، إن قال اليهودي: أريد العيش في فلسطين لكن المسلمين يضطهدونني ويمنعوني من ذلك. نقول: أنت مظلوم ولك الحق في رفع هذا الاضطهاد عنك على فرض صدقه طبعاً. في الماضي، كما هو معلوم ويقرّ به الصهيوني قبل غيره، كان من حق اليهودي الهجرة إلى فلسطين والعيش فيها، حين كانوا يُطردون من الدول المسيحية كانوا يأتون إلى بلاد المسلمين

ومن ضمنها فلسطين، كما حصل مثلاً مع حاخامهم الكبير موسى بن نحمان بعد مناظرته للمسيحي في اسبانيا بأمر ملكها والذي عوقب بعد ذلك واضطهد بسبب ما كتبه عن المناظرة ونشره فهاجر إلى فلسطين وأسس هناك مدرسة يهودية أحسبها لا تزال باقية إلى اليوم (هذه القصّة قبل نحو ثمانية قرون على ما أذكر). وكان عددهم إلى قبل قرن يبلغ أكثر أربعين ألفاً، ويعيشون في القدس وغيرها. وأما الاضطهاد من الدول الملكية المتأسلمة بزعمها، فهذه عبر التاريخ كانت تضطهد كل أحد وتستعبد كل أحد ومن ضمنهم المسلمين أنفسهم بشكل عام، بالأخصّ ممن لا ينتمي للطائفة التي تمثّلها الدولة. فهذا ليس جديداً وليس حجّة لطائفة مخصوصة، فالقمع العام لا يعطي حجّة لبعض المقموعين على بعض، مع حفظ الفوارق طبعاً في درجات القمع. ولا يخفى على مسلم أن احتقار واضطهاد ومنع اليهود من إمكانية المساواة مع المسلمين في الدول الإسلامية المزعومة أمر ثابت، لكن حتى المسلم العامّي لم يكن له أي شأن أو حق قبال الدولة فلم يكن هذا حال الدول القديمة الاستبدادية. فالكلام على الدولة الحديثة.

الآن، ما الذي يريده الصهيوني؟ يقول: أريد دولة يحق لكل يهودي في العالَم الرجوع إليها، وأريد التحكم الكامل في مكان معبدنا الوحيد المقدس والذي يقع في القدس عند محلّ المسجد الذي بناه الأميون، وأريد أن أكون في دولة تمثّلني ولا تضطهدني ولا تحتقرني لأني يهودي. هذه خلاصة ما يدعو إليه الصهاينة.

بغض النظر عن قيمة ذلك من حيث الاحتجاج الديني، وحتى الاحتجاج على الصهاينة بحجج يهودية، كما يفعل ذلك بعض اليهود أنفسهم المعارضين للصهيونية، فإن الصهيونية دعوة قومية تستغل الدين وليست دعوة دينية الجوهر، لذلك كثير من الصهاينة ليسوا يهوداً تديناً بل قد يكون ملحداً صرفاً من عتاة الملحدين. اليهودية قومية وديانة معاً، فقد تكون من القبيلة وقد تكون من الديانة. إن أرادوا دولة تعطي الحق لقبيلة بعينها، على فرض إمكان التحقق من " الدم"، فهذه دولة عنصرية بحتة، فليست دولة حديثة ديمقراطية تساوي بين الناس من حيث الجسم. وإن أرادوا دولة تعطي الحق لديانة بينها، وضمناً طبعاً لمذهب داخل الدين أو بعض المذاهب داخل الدين الواحد، فأيضاً هي دولة طائفية وليست ديمقراطية بأي حال. إذن كون الدولة "يهودية" يعني أنها ليست حديثة ديمقراطية.

قد يقولون: وليكن، كل أصحاب قومية لديهم دولة تمثّلهم هم فيها الأكثرية الحاكمة ولابد من الانتماء لهم للدخول في أكثريتهم، العرب لديهم أكثر من عشرين دولة، الفرس لهم دولة، الألمان لهم دولة، الطليان لهم دولة، وهكذا أصحاب كل قومية لهم دولة. لكن اليهودي ليس له دولة، فنحن نريد دولة يهودية حتى نكون سواسية مع بقية الناس. نقول: المغالطة هنا في قولك "

اليهودي ليس له دولة"، لأن الواقع أن له دولة بل دول كثيرة، وهي كل دولة فيها يهودي يحمل جنسية بلده الديمقراطية ذات التعددية، فاليهود في أمريكا دولتهم أمريكا وهم بالملايين، واليهود في كل دولة أوروبية وأمريكية وآسيوية وأيا كانت هم مواطنين مثلهم في الحقوق والواجبات مثل بقية المواطنين، خصوصاً في الدول الغربية الديمقراطية التعددية. فهذه مغالطة واضحة. ثم إن كنت تريد تأسيس دولة جديدة على أرض غيرك بالعنف، فلابد أن تقبل بالعنف الذي ستواجهه من أصحاب الأرض، ما قام بشيء سقط بمثله، فأي اطمئنان هذا وسلام إن كان التأسيس مبني على العنف والقهر. ثم المفروض أن دعوتكم تقوم على تخليص اليهود من الظلم والاضطهاد في أرجاء الأرض، حسناً، ما هو طريق ذلك؟ هل طريقه المعقول، لا أقول الديني لأنه لا دين في الصهيونية البتّة، هل طريقه المعقول هو جلب اليهود وسط دول عربية وإسلامية معادية لها وبالغصب، إلى متى يمكن الاستمرار في شيء مثل هذا وجُلّ اعتمادكم على جيل سيزول قريباً والأجيال القادمة شرقاً وغرباً ليست مثل جيل الآباء الحالي، وعلى أية حال الأمر في أحسن أحواله مشوش ومضطرب ولا أمن ولا سلام حقيقي وراسخ فيه.

إن قالوا: كل الدول الحالية قامت على العنف فما المشكلة في أن نقيم دولتنا نحن أيضاً على العنف؟، وهذه الدول العربية كلها قائمة على عنف عصابة قليلة العدد تتحكم في الأكثرية وتنهبها خيراتها وتذلّها ولا تعطيها أدنى حقوق وحريات مقارنة بما لدى أي مواطن في الدولة الصهيونية سواء كان من اليهود أو من العرب وإن اعترفنا بالتمييز ضد العربي فيها إلى حد ما جدلاً أو واقعاً. أقول: هذا ليس لي جواب عليه ضدّ الصهيوني حصراً، وإن كان جوابي العام ضد كل الدول القائمة على العنف واحداً وهو بطلان مشروعيتها أساساً، فبما أننا وصلنا إلى منطق الغابة فالحق للقوة—مع تذكّر أنه في نظرية الغابة لا حق لك إلا بقدر قوّتك، فاجهد جهدك فأمامك طريق عسير ما دمت حياً.

بالنسبة لمطلب اليهود بتخلية موقع المسجد الأقصى لبناء معبدهم: هذا لن يحدث حتى يكفّ المسلمون عن أن يكونوا مسلمين بالنحو الذي هم عليه الآن. أو أن يتم نشر نسخة من الإسلام لا تعترف بالقيمة الدينية لفلسطين أساساً، ويكون ذلك بنقض قصّة الإسراء المشهورة في الروايات (وليست في القرءان بتلك التفاصيل المروية ولا يمكن أخذها من القرءان)، ثم برفض مشروعية بناء المسجد الأقصى أو مسجد قبّة الصخرة هناك من حيث أنها أرض مقدّسة لأصحاب ديانة وتم أخذها قسراً منهم. نشر الإلحاد في صفوف المسلمين هو أقرب طريق لترك اهتمامهم الديني بالقدس، عبر جعلهم ينشغلون بأنفسهم ومعاشهم ويتركون أي اهتمام خارج إطار دولتهم. أقول هذا من باب البيان عن الطريق المعقول الذي يمكن أن يتخذه مَن يريد

تحقيق هذا الغرض. وإن كان تحويل المسلمين إلى غير مسلمين أمر لن يقع إلى قيام الساعة بشكل عام، فإن الله اصطفى لنا الدين وسيوجد مَن يقوم به ما دامت الأرض. فضلاً عن أن التحوّل إلى الإلحاد أمر لن يرضاه أرباب الدول العربية المحيطة لأنها تستعمل نسختها من الإسلام لتركيع الناس للدولة وولي الأمر وبقية المفاسد التي فيها، كذلك لأن التحوّل إلى الإلحاد يقتضي نوعاً من التفكير الفلسفي الجرئ مع شدّة نفسانية خاصة وكلاهما غير متوفر في تلك البيئة بشكل عام. فالقضية خاسرة من هذه الناحية. والطريق الوحيد المفتوح هو محاولة فرض أمر واقع بالعنف على أهل المنطقة، بدون أي محاولة للتبرير العقائدي والفكري، مع التعاون مع العصابات الحاكمة في المنطقة لتشتغل بإسكات خصوم ذلك الأمر الواقع بحجج مختلفة مثل الإرهاب والتطرف أو أي حجّة أخرى. فإذا أضيف إلى التأسيس العنيف نوعاً من نشر الأفكار السالبة للقيمة الدينية للقدس وفلسطين عموماً وأهلها، فيمكن أن يُساعد هذا على تسكين بعض الخواطر وشقّ صفوف المقاومة لذلك الأمر الواقع وتأليب الناس بعضهم على بعض وجعل سعي المقاومين له لتجييش الشعوب أمراً أعسر وأشدّ وكذلك يجعل اصطياد الحكومات لهم حين يتكلّمون بذلك أيسر لأنه أظهر.

ذلك الطريق غير معقول لمن يريد أمراً أجمل وأكمل وأعدل. الطريق المعقول عندي لهم من باب النصيحة المجرّدة هو التالي: تأسيس دولة حداثية ديمقراطية في فلسطين، تشمل حدود فلسطين كلّها، وتكون فيها الحقوق والواجبات على السواء لجميع المواطنين، مع ضمانة الدول الغربية والعربية بمعاهدات موثقة لتلك العهود لجميع المسلمين والنصارى واليهود على السواء وغيرهم من المواطنين، بحيث تتنازل مسبقاً الدولة القائمة عن سيادتها وحقّها في رفض العدوان عليها من حزب الناتو مثلاً أو أمريكا في حال تم الانتقاص من تلك المساواة في الحقوق والحريات والواجبات على أساس المواطنة الواحدة للكل. هذه الخطوة الأولى.

الخطوة الثانية: لأنه ستوجد حرية تعبير في الدولة الحديثة، فعلى اليهود السعي لإقناع المسلمين بالتخلي عن ساحة المعبد حسب عقيدتهم ليقيموا فيها معبدهم بدلاً من المساجد القائمة الآن، مع التعويض الكامل عن ذلك بنقل مكان المساجد الحالية إلى أماكن أخرى. فالقدس على قولهم كان أولى القبلتين قبل أن يكون فيه أي بناء خاص باسم مسجد وبالرغم من أنه كان بأيدي غير المسلمين من أهل التثليث والشرك بينما اليهود من أهل التوحيد، كذلك لا يوجد لا في القرءآن ولا في السنّة أمراً ببناء مبنى خاص باسم مسجد هناك بنحو لازم، مع انتقاد النصوص التي يعتمدها هؤلاء في الباب وهو أمر ليس صعباً فإن من المسلمين أنفسهم مَن ينتقدون ذلك بغض النظر عن المسألة اليهودية.

الخطوة الثالثة: شراء اليهود تدريجياً لجميع الأراضي كما فعل إبراهام، بالرضا وبكامل سعرها في السوق، والتدرج في هذا الأمر حتى يملكوا أكبر قدر ممكن من الأرض أو كلّها.

نصيحة أخرى من قوله تعالى في القرءان {كان حقاً علينا نصر المؤمنين}: من تأويلات الآية أن المؤمن مطلقاً منصور، فلابد من الإيمان وهو نور في القلب وصدق في التديّن. فعلى اليهود ترك التعلّق بالصهاينة الملاحدة ودعواهم المخالفة للدين والإيمان فهي قضية خاسرة من بدايتها بالضرورة. ارجعوا لقصّة إبراهام في سفر التكوين. لأنه كان مؤمناً محسناً أحبّه أهل الأرض وأرادوا إعطائه الأرض التي أرادها مجاناً وهدية ومع التعظيم والاحترام. العنف ليس سنّة إبراهام، ولا أمر سينفع مع العرب ولا مع المسلمين، هذا أمر مفروغ منه والأمثلة التاريخية والحاضرة تشهد بذلك فلا تضيعوا وقتكم بغير اللطف. إن لم ينحلّ الأمر باللطف، فلن ينحلّ يقيناً بالعنف.

...

(خلاصة جوهر رسالتي الاجتماعية السياسية الاقتصادية)

ثلاث حُريّات، إن آمن بها الناس وقامت عليها المجتمعات ولم تقترب منها الحكومات، سيعيش الناس في وضع أحسن بكثير مما كانوا عليه وما هم عليه الآن. والثلاثة لا تحتاج إلى عمل، لكن تحتاج إلى عدم عمل، بمعنى أنها تحتاج فقط إلى عدم تدخّل الحكومات والجماعات والأفراد، ترك وليس إيجاد شيء، فهو تكليف سلبي، بل ليس تكليفاً لكنه كفّ عن العمل فقط، فلا حجّة ولا عذر لإنسان أو لحكومة في التدخّل في هذه الثلاثة من هذا الوجه.

الحرية الأولى، الكلمة. عدم التدخل في تواصل الناس مع بعضهم البعض، لا باللفظ ولا بالتجمّع السلمي. لكل إنسان أن يقول ما يشاء. الواجب: عدم تدخل إنسان في كلام إنسان آخر وإجباره على عدم إظهاره أو إجباره على إظهار كلاماً معيناً. لا تجبر على قول ولا على عدم قول غيرك شيئاً، لا علاقة لك بكلام الآخرين. باختصار: كفّ يدك عن المتكلّمين.

الحرية الثانية، الحركة. معناها حرية تنقل الناس في الأرض، وأن يحق لكل إنسان الدخول في أي مجتمع والخروج منه بدون أي معاملة رسمية بأي شكل ولا أي قيد شخصي لا يُفرَض مثله على سكان المجتمع الذي سيدخل إليه. حرية تنقل في الأرض، حرية هجرة واختيار البلد الذي تريد العيش فيه بدون أي حدود أو جوازات أو تأشيرات أو أي نوع آخر من أنواع الحدود المانعة للسائرين في الأرض. باختصار: كفّ يدك عن المهاجرين.

الحرية الثالثة، المعاقدة. المقصود حرية كل فرد في التعاقد مع أي فرد آخر في أمور الكسب الاقتصادي والتبادل التجاري والعقاري ونحو ذلك. فالحكومة لا تتدخّل لا لصالح رأس المال ولا لصالح العمّال، لا إيجاباً ولا سلباً. بل لكل إنسان التعاقد مع أي إنسان آخر، كما يشاء وبحسب ما يستطيع تحصيله من شروط ومصالح لنفسه. فينبغي عدم تدخّل الحكومة لصالح أصحاب رأس المال كأن تمنع العمّال من الاتحاد وتشكيل النقابات وما إلى ذلك، كما لا ينبغي تدخّل الحكومة لصالح العمّال ضدّ أصحاب رأس المال كأن تجبرهم على شروط لا يريدونها أو حتى كأن تتدخّل بالنيابة عن العمّال فيما تحسب الحكومة أنه من مصلحة العمّال بالجملة كأن تقيّدهم من العمل بعدد ساعات معينة دون غيرها حتى إن كان العامل الفرد يريد طوعاً العمل بأكثر منها. على هذا النمط، أي تعاقد حر بين طرفين ينبغي أن يكون حرّاً، ودور الحكومة يقتصر على ضمان تنفيذ كل طرف لحصّته من العقد. فليس على الحكومة عمل شيء في باب التعاقد، بل كل ما عليها تنفيذ ما تعاقد عليه الناس اختياراً. باختصار: كفّ يدك عن المتعاقدين.

تأمل مشاكل الأمم، في القديم وفي الحديث، وانظر. سترى أن الغالبية العظمى من المشاكل الاجتماعية والسياسية، بل وكثير من غيرها من المجالات، راجع إلى إرادة بعض الناس فرق إرادته وعقله هو على غيره من الناس في باب الكلمة والحركة والمعاقدة، سواء أراد فرض إرادته على غيره بسوء نية أو بحسن نية. الحكومة أو حتى المجتمع ممثلاً ببعض طوائفه أو حتى طائفة ذات أغلبية، حين تسعى إلى فرض رأيها على الآخرين في باب الكلمة والحركة والمعاقدة فلابد أن ينشأ عدوان ونار ومصائب وآثار سيئة لا يُمكن التحكم فيها ولا إنهاء تسلسل سلبياتها. من عجائب حال الناس أن حسن أحوالهم يرجع معظمه إلى عدم فعل شيء، الترك سلامة لو عقلوا. {يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم}.

...

{يا أيها الذين ءامنوا} من الرجال والنساء.

{كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط} تقوم لله بإظهار أن الله "لا إله إلا هو" والاحتجاج لها، وتشهد بالقسط بإظهار أن الله "قائم بالقسط". تتمثّل في نفسك القيام لله بالذكر وبدعاء الله وحده، وتتمثّل في نفسك الشهادة بالقسط بأن تتبع أمر الله وتقول ما في قلبك وتتحرّى العدل مطلقاً بغض النظر عن موضوع العدل. لذلك قال بعدها..

{ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا} فالعدل ليس لأنك تحب أن تبغض موضوع العدل، لكن العدل لازم لشهادتك بالتوحيد والقسط لله تعالى، فالعدل ضدّه الكفر بالله وليس فقط ظلم

الناس، فالظلم ليس جريمة اجتماعية فقط لكنه جريمة دينية. بالعدل أنت تعامل الله فقط، ونظرك ليس للخلق.

{اعدلوا هو أقرب للتقوى} فالعدل من التقوى، والتقوى أمر ديني، {واتقوا الله}، بالتالي عدم العدل إعدام للدين والصلة بالله.

{إن الله خبير بما تعملون} فالمراقبة لله، لا للخلق. فحتى إن استطعت أن تنجو من كل الخلق بالظلم، فلا تقم به إن كنت من المؤمنين بالله.

...

{تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه} حجّة للروح على البدن، لإقناع النفس بالإقبال على الأمر الروحي بدلاً من الشكل الطبيعي.

{نرفع درجاتٍ مَن نشاء} بالإيمان والعلم، "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات". فإقبال النفس على العلم ومجالس العلم، بدلاً من اللهو ومجالس اللهو "ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين" "لقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرءان العظيم. لا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم". فالحجّة لإقناع النفس بتغيير توجهها، من الدنيا بمشاغلها الخمسة من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد، إلى التوجّه إلى الآخرة بشغلها الحسن من الذكر والفكر والدعاء والعلم والقرءان والسير والنظر والكتب والأولياء في الله.

{إن ربّك حكيم عليم} يربّي نفسك بالحكمة والعلم، بدلاً من التجارة واللهو.

صُلب الحجّة: البدن آفل، شهوته آفلة. لكن الروح ثابت، نعمته دائمة. والثابت الدائم خير من الآفل.

بالإقبال على شغل الآخرة، "إن أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون"، فإن النفس تكتسب بفضل الله ورحمته أسماء ومقامات نورانية عالية. لذلك قال عن إبراهيم بعد آية الحجّة {ووهبنا له إسحاق ويعقوب} ثم ذكر أسماء أنبياء. كل اسم منها يتضمّن سرّا ربّانياً، وخُلُقاً من الحكمة، ونوراً من العلم، تتجلّى في النفس وترسخ فيها بقوّة الله تعالى. فهذه {درجات} ترتفع فيها النفس إلى الأبد. خلافاً للبدن الطبيعي، فإن شهوته متضاءلة مع الزمن ومع الممارسة، وعمره قصير، والبدن نفسه في انتكاس مع الزمن حتى يُقبَر، فهو يخسر صفته الحسنة مع الزمن في النهاية، وحتى حين تكون الصفة في صعود قبل أن يبلغ أشدّه وذروة نموّه فإنه يكون مُعرَّضاً للآفات من جميع الجهات بدرجة أو بأخرى، "كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثم يهيج

فتراه مصفرّاً ثم يكون حطاماً". ففي طريق الآخرة الروحية، النفس في ارتفاع في الدرجات. وفي طريق الدنيا الطبيعية، النفس في تسافل في الدركات. وحجّة إبراهيم قوله {لا أحبّ الآفلين}. وقال الله {وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين}. فطريق إبراهيم طريق الملكوت، "سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه تُرجعون" فهو أمر نفسي باطني غيبي لأن الرجوع كذلك، "يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنّتي".

إذن، قوله {تلك حجّتنا} هي الحجّة الروحية المقدّمة للملكوت على الدنيا الطبيعية.
{آتيناها إبراهيم} نفس الرائي للحقيقة المحب للثبات والصعود بيقين والفرد المستقل.
{على قومه} على البدن وعلى المجتمع.
{نرفع درجات مَن نشاء} إلى ما لا نهاية في العلم والإيمان "رب زدني علما" والتحقق بالمقامات الكمالية النفسية.
{إن ربك حكيم عليم} المثل الأعلى الذي تسعى نحوه النفس المريدة السعادة العليا والأبدية.

...

حرية الدين تشمل الحريات الثلاث: الكلمة والحركة والمعاقدة.

أما الكلمة فلأن الدين يتجلى بالكلمة وينتشر بالكلمة ولبّ العمل الديني قراءة كلمة الله والتوجّه إليه بكلمات كالأذكار والدعاء، والدعوة بالكلمة والمحاجة والمجادلة بها.

وأما الحركة، فلأن الدين فيه الهجرة في سبيل الله للخلاص من الظلم وللدعوة، والضرب في الأرض ابتغاء من فضل الله ولقاء أهل الذكر والعلم والإيمان، والسير في الأرض للنظر في آيات الله، والسياحة في الأرض لكسر تعلق النفس بأي أرض أو قوم أو دنيا أو بشهرة وركون إلى الذين ظلموا أو فراراً من الفتنة.

وأما المعاقدة، فلأن في الدين شروطاً خاصة لما يجوز وما لا يجوز التعاقد عليه وكيفية التعاقد كآية الدّين وغيرها من المواضيع، فإن فُرض على الكل شكلاً واحداً وقُيدت مواضيع التعاقد جبراً فسيختلّ شيء من الدين عاجلاً أم آجلاً.

المجتمع الذي فيه حرية دين حقاً هو أحسن مجتمع على وجه الأرض مطلقاً. ولو كان أفقر المجتمعات وفي أسوأ بيئة على الأرض. هو أحسن مجتمع للإنسان الكريم النفس حقاً.

...

ادعُ وانْسَ.

يعني ادعُ الله وانسَ الموضوع تماماً واعتبر الأمر قد حُسم توكلاً وثقة بصدق وعد الله " ادعوني أستجب لكم".

...

{سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون}

{سورة..فيها آيات} فالسورة لها حقيقة غير مجرد الآيات التي فيها. السورة ليست اسماً للآيات التي فيها، لكن السورة روح وحقيقة جوهرية واحدة، هي ما وراء هذه الآيات التي تراها فيها. لذلك كرر الإنزال مرّتين ولا تكرار، {أنزلناها..أنزلنا فيها آيات}، فالسورة المنزلة أمر يختلف عن الآيات المنزلة في السورة. كتشبيه بسيط، لا يفي بالغرض لكن يقرّب المطلب: إن قلنا اشتريت البيت ووضعت فيه أثاثاً حسناً والبيت يتكوّن من سبع غرف ومطبخ وثلاث حمامات، فهذا لا يعني أن حقيقة "البيت" هي مجرد هذه الأشياء التي فيه، بل البيت يكون مثلاً الأرض التي قام عليها مع الجدران التي تشكلّ محيطه ونحو ذلك. الأمر أعمق من ذلك. لعل مثلاً أقرب هو التمييز بين حقيقة الإنسانية وشخص الإنسان، فأنا إنسان وأنت إنسان، حقيقة الإنسانية فينا واحدة، نزلت فيك ونزلت فيّ، لكن إذا نظرنا في أشخاصنا سنجد اختلافات كثيرة في العقل والنفس والبدن والعلاقات والممتلكات وما أشبه، فهذه الأشياء التي فينا لا تختزل حقيقة إنسانيتنا الجوهرية المشتركة. لكل سورة روح واحدة، وآيات فيها كثيرة، لكن تلك الروح فردية خاصة بها، لا تساوي من كل الجهات كل روح سورة أخرى.

{وفرضناها} قال "إن الذي فرض عليك القرءان". فالقرءان واحد، لكن فيه سور كثيرة، كل سورة منزلة ومفروضة ومنزل فيها آيات بينات. فهنا ثلاث درجات من الوجود للوحي. وجود القرءان الكلّي، ووجود السور الكثيرة، ووجود الآيات في السورة. القرءان كلّه روح أعظم واحد، يختلف عن أي كتاب آخر، لذلك يأتي في عرض كتب أخرى مثل "التوراة والإنجيل والقرءان". هذا الروح الأعظم، فيه أرواح كثيرة هي السور، هذه الأرواح الكثيرة لكل روح منها الآيات فيه تشكّل كل آية منها روحاً خاصاً "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا". من القرءان الواحد، إلى السور المائة والأربعة عشر، إلى الآيات التي تزيد على الستة آلاف، لاحظ الحركة من الوحدة إلى الكثرة. ثم كل آية فيها كلمة أو كلمات، وفي كل كلمة حروف، فكلماته أكثر من سبعة وسبعون ألف، وحروفه ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألف.

فهذه خمس مستويات للوحي المحمدي "ما نزّل على محمد" :القرءان، ثم السور، ثم الآيات، ثم الكلمات، ثم الحروف. القرءان حقيقة واحدة، "علّم القرءان". هذه الحقيقة جامعة لأرواح كثيرة، هي السور. ثم كل سورة فيها آيات كثيرة أقلّها ثلاثة أو أربعة، وكل آية مكوّنة من كلمات، وكل كلمة مركّبة من حروف. مستوى القرءان تجلي للاسم الإلهي، ومستوى السورة

تجلى مقام العزّة النبوي، ثم كل آية عرش، وفي العرش سماوات الكلمات، وكل كلمة من أرض الحروف. {لعلكم تذكرون}

...

رأيت اليوم ثلاث آيات نفعني الله بها.

الأولى، رأيت صبياً صغيراً راكب على عربيته اللعبة ولها ما يشبه الدرّاجة يستطيع تحريك رجليه بها، لكن أمّه وراءه هي التي تدفع العربية، فهو يحرّك رجليه ويتصرف كأنه هو الذي يقود العربية، لكن الواقع أن أمّه هي التي تقودها وتدفعه وتهتمّ بحراسته في الشارع. فذكّرني هذا بعناية الله تعالى بوليّه، حيث يحسب الولي أنه هو الذي يفعل ويتصرف، لكن الله برحمته يهتمّ به. قال الله {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون}.

الثانية، ذهبت إلى المكتبة العامّة للحصول على كُتيّب تعليم قوانين السواقة، وأنا أقرأ في المقدمة التي فيها تحذير من عدد الحوادث وضرورة التنبّه للقوانين ومراعاة المشاة وأصحاب الدرّاجات، نظرت فرأيت بجانبي فراشة تحلّق بحرية وسلامة، فذكّرني هذا بالفرق بين النفس في الدنيا حيث تحتاج إلى القيود والقوانين ومع ذلك تتعرّض للحوادث، لكنها في الآخرة إن سلمت بتسليم الله ورحمته فدخلت الجنّة حيث تتحرّك بحرية وأمن، {لا يمسّهم فيها نصب}.

الثالثة، كان بيتي مظلماً إلى حد كبير بسبب وجود أوراق شجر كثيرة على النافذتين، لها شكل جميل لكنها تحجب الضوء، خصوصاً أن بيتي في فجوة فإذا طلعت الشمس أو غربت لا تظهر أمام نافذتي بل يأتيني الضوء البارد فقط بحمد الله إلا أنه ضعيف نسبياً بسبب كونه في ظِلّ دائم، فكنت أضطر إلى فتح الأنوار خلال النهار لأقرأ وأتصرف براحة في البيت، واليوم جاء عمّال لتغيير شبك النافذة فقمت أنا بنفسي بالتدخل لقطع الأوراق وتنقية الشباك من أوراق العنب المحيطة بالنافذة بعد أن رفض العامل القيام بذلك لأنه ليس من صلب شغله، وإذا بالبيت الحمد لله يضيء إضاءة تامة من أوله إلى آخره، فذكّرني هذا بحال القلب، القلب هو البيت، ونور الله مشرق عليه على الدوام، لكن حجب الران والغفلة والعقائد الفاسدة والإصرار على المعصية تحجب ذلك النور، وأقصى ما يستطيع أن يقوم به عمّال الدين تغيير الشبّاك الذي هو الألفاظ الشرعية، لكن لابد أن تتدخّل أنت وتجاهد نفسك حتى تنقّي قلبك من الحجب، {لا يمسّه إلا المُطهرون}.

الآيات كل يوم حولنا بحمد الله، وفي أنفسنا، لكن مَن يقرأ ويعقل. {وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها مُعرضون}

...

{مَن كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد..ومَن أراد الآخرة}.

في الله تعالى، المشيئة تتعلّق بـ{ما}، والإرادة تتعلّق بـ{مَن}. فالمشيئة للأشياء أو للشيء غير المريد باختيار، والإرادة للمريد أي للكائن الحي الإنساني. هذا وجه. وجه آخر، المشيئة أوسع وسابقة على الإرادة، {ما نشاء لمن نريد} فالمشيئة أوّلاً والإرادة تالية، والدائرة الأوسع للمشيئة لذلك تأتي آيات فيها نفي للمشيئة مع إمكانها مثل "لو شاء الله ما تلوته عليكم" فالمشيئة تسع عدم تلاوته عليهم وتسع تلاوته عليهم، بينما الإرادة تتعلّق بالمتحقق وما يرضى الله بتحققه، {لو شاء الله ما اقتتلوا..ولكن الله يفعل ما يريد}. فليس كل ما يشاؤه قد فعله، لكن كل ما يريده يفعله. فالمشيئة غير مُفعلة بالضرورة، لكن الإرادة مُفَعَّلة بالضرورة.

في الإنسان، {يريد العاجلة} {أراد الآخرة}. العاجلة {يريد} فلابد من تجدد الإرادة، لكن في الآخرة {أراد} فهي مثل "كان الله غفوراً" أي أمر مضى بمعنى هو ثابت جوهري دائم. لماذا؟ لأن العاجلة متغيرة فانية فمع فناءها كل لحظة لابد من تجديد الإرادة بها، لكن الآخرة ثابتة باقية فلذلك إرادتها مثلها. الإرادة من جنس المُراد. المُراد المتغير المتحوّل يقتضي إرادة متغيرة متحولة، لكن مريد الدنيا متعذّب متقلّب بالضرورة. لكن مُريد الآخرة ثابت مطمئن.

...

{وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا...قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً}

لماذا قالوا له ما قالوه؟ مفتاح هذه الآيات في الآية التي قبلها بل الآيات. فالآيات قبلها تتحدّث عن القرءان وأنه روح. ثم قال في الآية السابقة لهذه مباشرة {ولقد صرّفنا للناس في هذا القرءان من كل مَثَل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً. وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا} ما علاقة هذا بذاك؟ الجواب: لأن القرءان أصله روح، والروح يتنزّل بالأمثال، والمثل له ظاهر وباطن، فهؤلاء الذين كفروا الباطن الروحي واقتصروا على ظاهر المثل، قالوا {لن نؤمن لك} أي لهذا القرءان الذي جئت به، {حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا} فهذا مثل ضُرب للوحي، فالأرض قلب النبي وتفجر منها ينبوع القرءان، لكن لم يعتبروا هذا وأشباهه بل سألوا صورة حسّية لتصديق القرءان.

كذلك قالوا {أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً} هذا مثل على السورة. فكل سورة جنّة، فيها نخيل الأمر والنهي، وفيه عنب علم الغيب، وأنهار الأفكار متفجرة

خلالها. وما أشبه من الآيات التي ذكرت الجنان والحدائق والنبات في القرءان وهي كثيرة وهي تشير إلى القرءان ذاته. فكما أن للحس جنّاته كذلك للنفس جنّاتها، وكما رزق الله الحس كذلك يرزق النفس، فهذا الأصل شائع في القرءان في الاحتجاج على الكافرين المنكرين للنبوات. لكنهم كفروا تلك المعاني، وسألوا صورة أرضية خارجية طبيعية للمثل.

كذلك قالوا {أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا} فهذا مَثل على بطلان ما في أذهانهم من أفكار، فإن الذهن سماء النفس.

كذلك قالوا {أو تأتي بالله والملائكة قبيلا} بمعنى "أرنا الله جهرة"، فاعتقدوا بجسمانية الله والملائكة لأنهم من "الذين كفروا".

كذلك قالوا {أو يكون لك بيت من زخرف} كل آية قرآنية بيت وزخرفها ألفاظها العربية.

كذلك قالوا {أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه} لأنه يعرج بالتعقل من الظاهر إلى الباطن، وحين يصل إلى الباطن تتجلى له المعلومات هناك فيخطّها في كتاب يلقيه على الناس، سألوا أن يفعل ذلك لهم حسّياً ببدنه.

جاء الجواب على كل ما سبق بقوله {قل سبحان ربي} وهو الذي بدأ به السورة "سبحن الذي أسرى بعبده"، فإن الإسراء يتعلّق بالملكوت "سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء" "كذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض" وليس بالملك، فالملك له "تبارك الذي بيده الملك". فسبحان تتعلّق بعالَم الجعل، والملكوت، والغيب، أي عالَم النفس الأخروي العلوي وليس عالَم الحس الدنيوي. فحتى يردّهم إلى أصل المعنى الحق الذي جاء به قال {سبحان ربي}.

ثم قال {هل كنت إلا بشراً رسولاً} فمن حيث البشرية أنا "بشر مثلكم"، لكن من حيث الروحانية أنا "رسولا"، والروحانية تكون بالأمر الروحي والتعقّل والنظر الفكري، وهي فوق البشرية الطينية "إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" "أوحينا إليك روحاً من أمرنا". الرسالة لا تتعلّق بتغيير البشرية، لكن بتغيير الأنفس الملكوتية الأخروية "تأتي كل نفس" "حتى يغيّروا ما بأنفسهم" "في أنفسكم أفلا تبصرون". الأمر البشري قائم على سنن العالَم البشري الأرضي، لكن الأمر الرسولي قائم على سنن العالَم النفسي السماوي، فأي حكمة في الإتيان برسالة تتعلّق بأمور بشرية هي في غنى أصلاً عن الرسالة بدليل قوله مثلاً "أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون"، فهؤلاء قد عرفوا تحصيل القوة وأثاروا الأرض وعمروها حتى قبل مجئ رسلهم بالبينات، "فرحوا بما عندهم من العلم" "ولم يرد إلا

الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم"، فهذا القدر من العلم الدنيوي والتنظيم الذي يؤدي إلى القوة والإثارة والعمران لا حاجة به إلى الرسل، لكن لا يعني ذلك أن صاحبه سليم النفس بل " كانوا أنفسهم يظلمون"، فالرسل يأتون للنفس السماوية بعد استقرار الأرضيات، "فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" فالعبادة بعد الإطعام والأمن، بالتالي الإطعام والأمن لا يتوقف على العبادة. البشرية لها نظامها، والنفس لها نظامها. "أنا بشر مثلكم يوحى إليّ"، فمن حيث "أنا بشر مثلكم" تأتي طرق القوة والإثارة والعمران وهي الدنيا، ومن حيث "يوحى إليّ" تأتي طرق العلم الأعلى ومعرفة النفس وتزكيتها وتحصيل سعادتها الأبدية. فما معنى أن تطلبوا بعد ذلك الإتيان بأمور هي من جنس عالَم الدنيا والأرضيات والبدن، الله "قدّر فيها أقواتها" وانتهى الأمر، لكن ما أنتم بحاجة إليه رحمةً بكم وذكرى هو الوحي وعلمه وذكره. كما أن الله خلق الأرض ثم استوى إلى السماء، كذلك أوّلاً تستقرّ المعيشة وأمور الدنيا ثم تأتي الآية وأمور الآخرة النفسية العليا. "يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة".

{ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أءذا كنّا عظاماً ورُفاتاً} اعتبروا أنفسهم عين أبدانهم فقط لا غير، لذلك قالوا {كنّا عِظاماً} فماهوا وساوا بين أنفسهم وبين أبدانهم. وهذا جعلهم ينكرون النفس المفارقة للبدن، بالتالي صار الأمر عندهم كله ظاهر ودنيوي "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة عن غافلون"، والنتيجة {كفروا بآياتنا} لأن الآية لها ظاهر وباطن، فمن كان ينكر أنه هو له ظاهر وباطن كيف سيعقل الآية على أنها ظاهر وباطن؟ لن يستطيع. "الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا" "فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد".

...
كل آية تقرأها، لابد من أن تخرج بعلم جديد و بعمل جديد، وإلا فلم تقرأها.

...
أيا كانت صلاتك، بعد كل صلاة اقرأ كتاب الله، استخر واستفتح آية أو اقرأ أي آية وخذ منها ولو معلومة أو عمل جديد.

فُتِح لي الآن بعد صلاة العصر قول نوح {فإن تولّيتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأُمرت أن أكون من المسلمين}

فقوله {فإن تولّيتم} يعني أن لا نتأثر نفسياً حين نجد الناس يتولّون عنّا بسبب ديننا ودعوتنا، فلسنا بخير من نوح.

وقوله {فما سألتكم من أجر} يدلّ على أن تولّيهم لم يكن بسبب سؤاله أجراً، مالاً أو شكوراً، أي أجراً حسّياً أو نفسياً، فالدعوة عطاء بلا أخذ. مما يعني أن الرسول والداعي لابد أن يكون مستقلاً في كسب معيشته، وفي استقرار نفسيته، عن أي إنسان يدعوه.

وقوله {إن أجري إلا على الله} فكسبه من مشيه بأمر الله في الأرض، ونفسيته ترتاح بالشكوى إلى الله ودعائه والتوكّل عليه وذكره ومناجاته،

وقوله {وأُمرت أن أكون من المسلمين} مسؤوليتك عن دينك فردية، لا يزيدك ولا ينقصك إقبال أو تولي الناس بالنسبة لك.

...

قال الله تعالى {فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلّموا تسليما}

لاحظ الفرق بين هذه الآية، التي هي الحكومة الإيمانية، وبين الحكومة القهرية الجبرية.

الآية تقول {فلا وربّك لا يؤمنون} فهي عن الإيمان، والإيمان أمر نوراني في القلب "لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم"، فالنظر هنا إلى حال القلب. لكن في الحكومة القهرية، لا عبرة بالقلب، العبرة فقط بالبدن والمحسوس. هذا أمر. والأمر الآخر، الآية تقول {ربّك}، فالنظر هنا إلى رب النبي المنادي للإيمان وداعي الله، لكن في الحكومة الجبرية النظر إلى رب الجنود والعساكر الطاغية الرئيس والأمير المتجبّر.

الآية تقول {حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم} فهم الذين يختارونه كحَكَم وحاكم ومُحَكَّم، هم الذين يحكّموه وليس هو الذي يجبرهم على تحكيمه أو يمنع أي حكم لأي إنسان غيره كما هو الحال في الحكومة الجبرية.

الآية تقول {ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت} فالنظر إلى النفس وطهارتها من الحَرَج، بينما في الحكومة الجبرية النظر ليس إلى النفس بل إلى الحسّ والفعل الخارجي والقبول العملي المادّي لأحكام القضاء ثم بعد ذلك لا يهمّ أن تكون نفسه قابلة أو رافضة بل ولو كان يلعن القاضي صباح مساء في السرّ فهذا لا يهمّ أصحاب الحكومة الجبرية.

الآية تقول {ويُسلّموا تسليما} هذا في الحكومة الإيمانية، تسليم. لكن في الحكومة الجبرية، استسلام، "إنهم اليوم مُستسلمون". فالتسليم طوعاً، "صلّوا عليه وسلّموا تسليما"، "سلّموا على أنفسكم". لكن الاستسلام كرهاً وجبراً وقهراً. في الحكومة الإيمانية التسليم تسليماً طوعاً وحبّاً واختياراً، لكن في الجبرية الاستسلام كرهاً وبغضاً واجباراً.

الحاصل: إذا كانت توجد آية واحدة تنسف فكرة الحكومة الجبرية، و"الدولة الإسلامية" بالمعنى الشائع لها، فهي هذه الآية. وإن أردت الاستكمال، فاجمع عليها أختها التي هي آية الطاعة "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" فكلها في الطاعة وهي من الطواعية والاختيار والإيمان "يا أيها الذين ءآمنوا أطيعوا"، وليست من الجبر في شيء.

...

{وكيف تكفرون وأنتم تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومَن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم}

لم يقل: من يعتصم بالآيات وبالرسول. قال {ومَن يعتصم بالله} بالرغم من أن الكلام قبلها عن {آيات الله} و {رسوله}. لماذا؟

كذلك لم يقل: رسول الله فيكم يتلو آياته. قال {تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله}. لماذا هذا الترتيب؟

جواب عن الأول: الآيات علامات تدلّك على الله. الرسول يأمرك بالرجوع إلى الله. فالآيات والرسول نظرهم إلى الله وإرشادهم إلى الله. كمثل دليل واقف في الصحراء يُؤشّر لك بأصبعه جهة واحة النخيل والماء، بدونه تموت عطشاً، لكن إشارته جهة الماء وليس جهة ذاته. فمن نظر في الآيات والرسول ولم ينتهي به الحال إلى الاعتصام بالله تعالى، فلم ينتفع لا بالآيات ولا بالرسول.

جواب آخر عن الأول: لأن الآيات {آيات الله} والرسول {رسوله}، فالاعتصام بالآيات وبالرسول هو عين الاعتصام بالله. {اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}.

جواب عن الثاني: بدأ بذكر {آيات الله} ثم {رسوله} بإرجاع الضمير إلى الله المذكور في الآيات، لأنه بالآيات صار البشر رسولاً، فهو "بشر مثلكم" من هذه الجهة، لكن بسبب "يوحى إليّ" وهي الايات صار {رسوله}. فمركز الدعوة الآيات، والرسول داعي بالآيات "فذكّر بالقرءان" "إنما أُنذركم بالوحي" "احكم بينهم بما أنزل الله" "ولا تعجل بالقرءآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما". فالتذكير والإنذار والحكم والعلم عند الرسول من القرءان.

فما هو الصراط المستقيم؟ هو الإيمان. {وكيف تكفرون..إلى صراط مستقيم}.
وما هي وسيلة الإيمان؟ هي آيات الله ورسوله. {تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله}.
وما هي حقيقة الإيمان؟ هي الاعتصام بالله. {ومَن يعتصم بالله}.
ومَن هو المهدي؟ هو المؤمن حقاً {فقد هُدي إلى صراط مستقيم}. لاحظ {هُدي} وليس " اهتدى"، فهو مهدي.

...
{وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكُلّا فضّلنا على العالمين}

ما معنى {فضّلنا على العالمين}؟ بدءاً، الفضّل على العالمين ليس شخصاً واحداً، وإلا لما تعددت الأسماء المفضّلة. فتفضيل إنسان لا يعني عدم تفضيل إنسان غيره. فالأمر واسع.

الله تعالى "رب العالمين". فهل توجد بين ربوبيته والعالمين حدّ أو منزلة؟ نعم. منزلة الوسيلة، "يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيّهم أقرب" "ابتغوا إليه الوسيلة". فلأن الله تعالى "غني عن العالمين" في عين كونه "رب العالمين"، فما الفارق بين المعنيين؟ ربوبيته تتجلى بالأسماء المفضّلة على العالمين، في كل عالَم بحسبه، "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله". "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين". فالمفضّل على العالمين هو الرحمة والرسول، يعني السمة الإلهية النازلة فالرحمة من الرحمن والرحيم وهكذا بقية السمات، والرسول الذي يمثّلها ويبثّها وينشرها في العالمين.

{العالمين} له مقصد، المقصد العلم بالله وعبادته، فالمفضّل على العالمين هو المقيم للمقصد من العالمين. "الله الذي خلق..لتعلموا أن الله" "إلا ليعبدون" "قل رب زدني علماً" "قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم". أولوا العلم من العابدين الداعين، هؤلاء مصداق {فضّلنا على العالمين} لأنه لولا وجود هؤلاء الأسماء لما خُلق الخلق أصلاً، "الله الذي خلق..لتعلموا أن الله" فلولا وجود أهل العلم بالله لما خلق الخلق.

بما أن العلم بالله وعبادته ودعائه لها درجات كثيرة، فلها أمثال وبالتالي أسماء مختلفة كثيرة. ومن هنا {وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً} وأسماء أخرى. كل علم بالله ودعاء راجع إلى اسم إلهي، فلما كانت الأسماء الحسنى كوثراً، فالأسماء المفضّلة كثيرة "الله الغني وأنتم الفقراء". لكل اسم إلهي مَن يقوم به في العالَم "أغناهم الله ورسوله من فضله". القائم بضدّ الاسم الإلهي، غير مفضّل. لكن القائم بتنزيل الاسم الإلهي، هو المفضّل. فالله العليم، فالقائم بالجهل غير مفضّل "أفغير الله تأمرونّي أعبد أيها الجاهلون"، لكن القائم بتنزيل اسم العليم وهم "أولوا العلم" فهؤلاء من المفضّلين "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم" "ورفع بعضهم درجات" "تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات مَن نشاء". وهكذا في كل اسم.

من هنا تعرف لماذا "لا نفرّق بين أحد من رسله". لأن التفريق بين الرسل مثل التفريق بين الأسماء الحسنى وإن كان على مستوى أدنى. كل رسول حامل اسم أو أسماء، فمَن أنكر رسولاً فقد أنكر الأسماء التي تجلى بها وتنزّلت به، وهو من الإلحاد "ذروا الذين يلحدون في أسمائه".

الخلاصة: خلق العالَم له مقصد، مقصده العلم بالله والعبادة والدعاء، باختصار مقصده الدين. فأهل الدين فوق العالمين في الدرجة، وهم تحت الله تعالى وهو فوقهم قاهر "وهو القاهر فوق عباده". فهكذا صورة الوجود العقلية من حيث الدرجات: الله تعالى، ودونه العباد العلماء، تحتهم العالمين. وهذا معنى {كُلّا فضّلنا على العالمين}. لكن العباد أنفسهم لهم درجات، "هم درجات عند الله" وليسوا درجة واحدة، "فضّلنا بعض النبيين على بعض"، لكنهم "عند الله" وليسوا "عند العالمين". المفضّل عند الله، وغير المفضّل عند العالمين، لذلك "ما عندكم ينفد وما عند الله باق"، ومن هنا تعرف آية الجمعة "تركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة" فالرسول عند الله، والذين تركوه عند الدنيا بلهوها وتجارتها، لذلك هو المفضّل من بينهم.

...

الروح نكح الطبيعة فأخرجت النفس. والنفس تتجّه صوب الروح أو تبقى مخلدة إلى أرضها التي هي أمّها. فالروح هو الأب، والطبيعة هي الأم، والنفس هي الولد بينهما. وذلك مثل السماء التي تنزل الماء على الأرض لتخرج النبات. ميل النفس إلى الطبيعة كميل الولد إلى أمّه، وميلها إلى الروح كميل المتعلّم إلى مُعلّمه. إن كانت الأمّ فاسقة، والأب جاهل، فلابد للولد من الاستقلال عنهما، "فلا تطعهما". لكن إن كانت الأمّ دنيوية فاسقة، والأب عالِم، فلابد للولد من أن يجاهد ليتصل بالأب، وهذا مَثل جهاد النفس للاتصال بالروح والعروج من الطبيعة، " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة". لا ضمان للروح بأن النفس لن تُخلد إلى ظلمات الأرض، لكنه يُنزل ماء الحياة إليها لتُخرج شجرتها، فتجد الأرض كمالها بالشجرة، وتنحجب عن السماء بالشجرة وإن كانت من قبل قابلة لماء السماء متجرّدة له وذلك طلباً للماء. الكلمة تصدر من العالِم للسامعين، ولا يشترط ولا يستطيع أن يضمن حسن قبولهم لها ورجوعهم إلى الحق بها، ومع ذلك يُصدرها، فهو مصنوع للعطاء وليس للحساب "عليك البلاغ وعلينا الحساب". النفس معمولة للروح، لا للطبيعة، "على المولود له" فهو مولود للرجل لكن بوسيلة المرأة "يخلقكم في بطون أمّهاتكم" "لا تضارّ والدة بولدها" و "لا مولود له بولده" فهي الوالدة وهو المولود له، مثل "إنا لله وإنا إليه راجعون" فالنفس "لله" فهي له، وإن كانت مولودة بوسيلة عبد من عباد الله "قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً" " اشكر لي ولوالديك"، فالنفس لله بالحقيقة والاستحقاق، لكنها صادرة بوسيلة الوالدين. من هنا لما يأتي سبب كوني ويطلب حصر النفوس به بدلاً من إرسالها لله يكون فرعوناً "إنا فوقهم قاهرون" "قومهما لنا عابدون" "أرسل معي بني إسرائيل" "أدِّ إليّ عباد الله". فالناس عباد الله، لله. يظهر هذا المعنى في نزاع الوالدين على الأولاد، العالِم منهم يترك الولد للوالدة لقول

النبي "مَن فرّق بين والدة وولدها فُرّق بينه وبين أحبّته يوم القيامة" فهو لا يصطنع التفريق بينهما، لكن إن نضج الولد حينها ينظر لنفسه بعد استقلاله عن والدته ويختار ما بين والده ووالدته. أما الجاهل من الرجال فهو الذي يأخذ قهراً وغصباً أولاده من أمهاتهم، كمثل إعصار قلع الأشجار ليرفعها إلى السماء جبراً، فلا تلبث أن تقع على الأرض لا قيمة لها إلا بحرقها. " فهل أنتم مسلمون" هذا خطاب للأحرار من الطبيعة للعودة بالروح إلى الحق تعالى. "اتبعتهم ذريّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم" فلابد إذن من الاتباع بإيمان، والاتباع لا يكون إلا من بالغ راشد، والإيمان من عاقل متفقه يقظ القلب مريد للأمر طوعاً لا كرها، فهذين شرطي الإلحاق بالذين ءامنوا. ما قبل القدرة على الاتباع والإيمان، أي في طور الصغر، يبقى الولد ملتصقاً بوالدته، فإذا كبر واستقلّ وتعقل حينها يختار طريقه والعالَم الذي يريد العيش فيه. هذا كلّه مبني على التمييز الأصلي ما بين الدنيا والعليا، يعني الطبيعة والروح، أو الأرض والسماء. أما إن كانت الوالدة بالجسم هي الوالد بالروح أيضاً، بينما الوالد بالجسم جاهل بالروح، فلا عبرة بما سبق، لأن النظر إلى المعنى والجوهر وليس المبنى والمظهر.

...

أرسل لي صاحبي تسجيلاً عن إمام الحرم في مكّة، الوهابي طبعاً، وهو راكب سيارة بمليون ريال تقريباً، وذكر لي أنه يتكبّر فيها، فقلت له :"قالوا أئِنَّ لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين" "قال نعم وإنكم لمن المقربين". هذا قول السحرة ورد فرعون عليهم. هم شغلتهم يسحروا الناس، مقابل أجرة ومنصب.

...

قالت: احس اني تايه من كثر القراءة في الطرق المختلفة وللعارفين وماني عارف من اي باب ادخل لتحقيق المطلوب. اريد انا التقي بشيخ طريق حقيقي ولا اقدر احصل في المنطقة عندنا. ايش تنصحني اسوي ؟ لكي اجد شيخ.

قلت: ركّزي على ذكر الله، وخذي كتاب الله ركّزي عليه، وأكثري من الصلاة على النبي وآله.
بعد هذا أنصحك تقرأي كتبي.
إذا فعلتي هذا فادعي الله يختارك لك الأحسن

...

سألتني عن الخوف من الهجرة وأن أهلها يعارضون ذلك وهي تخاف أن يدعو عليها أو يغصبوها على الرجعة فقلت لها: الخوف طبيعي. التوكّل على الله أمر فوق الطبيعة. {إن الإنسان خُلق هلوعاً. إذا مسّه الشرّ جزوعا. وإذا مسّه الخير منوعاً. إلا المُصلّين}. بالنسبة

للهجرة، ادرسي الآيات وداومي على قراءتها كل يوم التي تبدأ من قوله تعالى "يا عبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة" إلى آخر سورة العنكبوت. ففيها ستجدي في كل آية جواباً على خوف عندك. حللي نفسك، انظري ما هي أسباب الخوف بالضبط، اكتبيها واحدة واحدة. بالنسبة للأهل، أنت مسؤولة عن نفسك إذا كنت كبيرة ومستقلة، ولا علاقة لك ولا علاقة لأحد بكِ إن اخترتِ أمر لنفسك ودينك.

...

لماذا جاءت آية تقول بأنه على المؤمن في القتال أن يقف أمام عشرة ثم بعدها آية تقول "الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً" ثم جعل المؤمن يقف أمام اثنين؟ كذلك في آية صدقة مناجاة الرسول، بدأ بالأمر بها "فقدّموا بين يدي نجواكم صدقات" ثم غيّر هذا الحكم بسبب " أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم"؟

أما الصنف الأول من تبديل الحكم، فراجع إلى النظر إلى المثال وإلى الواقع. حين جاء الأمر بوقوف المؤمن أمام عشرة، كان الحكم ينظر إلى مثال المؤمن السماوي الأعلى، فالمؤمن قابل لهذا القدر وهو خير له، بحسب كماله. لكن حين تبدّل الحكم إلى واحد أمام اثنين، كان النظر إلى مدى تمثّل المؤمنين لكمالهم ومثلهم الأعلى. فالله يعلم المثال ويعلم الواقع، فمن علمه بالمثال يأتي حكم، ومن علمه بالواقع مع الرحمة يأتي حكم أخفّ. {علم أن فيكم ضعفا} فهو يعلم من قبل، لكن ذاك العلم كان عن الكمال، هذا والعلم تعلّق بواقع الحال ومدى اجتهاد النفوس في بلوغ كمالها.

تشبيه بسيط: صانع السيارة يعلم أنها قادرة على السير بسرعة ٣٠٠ كلم/ الساعة، ويعلم أن السائق المحترف قادر على ذلك. فإذا نظر إلى كمال السيارة سيقول للسائقين "سيروا بسرعة ٣٠٠ كلم/س". لكن إذا نظر إلى تكاسل السائقين أو خوفهم بسبب ظروفهم النفسية أو قيودهم العائلية أو أيا كانت ظروفهم، ثم قال "سيروا بسرعة ١٠٠ كلم/س" فهو ينظر إلى السائق في واقع حاله وليس إلى أقصى ما يستطيعه بحسب جوهر كماله.

إذن، لدينا أحكام مبنية على العلم بالكمال الممكن، وأحكام مبنية على العلم بالحال المتحقق. الأولى أشدّ وأقوى وأعلى من الأخرى. إرادة الله رفعة المؤمن تبعث على الأحكام الكمالية، وإرادة الله التيسير والرحمة بالمؤمن حبيس الدنيا تبعث على الأحكام الحالية. وتأتي الأولى والأخرى في الكتاب للجمع بين المؤمن القوى والمؤمن الضعيف.

وأما الصنف الآخر من تبديل الحكم، فراجع إلى النظر إلى القبول والرفض في الأمور غير الضرورية للنجاة وقواعد الخير. تقديم صدقة قبل مناجاة الرسول خير للنفس، وخير للفقراء، لكنها ليست ضرورية على أساس أن الأصل عدم تعلّق شأن الرسول بأي مال بأي صنف "أم تسألهم خرجاً" "أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون"، لكن هذه الصدقة لن تكون للرسول بل للفقراء بواسطة إرادة مناجاة الرسول فتعلّقت بالرسول بهذا الوجه، فخالفت الأصل رحمة بالنفس وتطهيراً لها ورحمة بالفقراء. فلمّا رفضوا إقامتها وأشفقوا منها، عاد الأمر إلى أصله وهو مجانية شؤون الرسول مباشرة وغير مباشرة.

تشبيه بسيط: شخص سمين يذهب إلى النادي للرياضة. الضروري تخفيف وزنه عبر التمارين. قد يقول المدرب له "عليك بلبس اللون كذا حتى يحمّسك على التمرين، وعليك أن ترحّب بأصحابك في النادي كل يوم"، هذه التعليمات ليست ضرورية لنفس عملية التمرين وقصده من النادي، لكنها محسّنة له وأطراف جيدة، فإذا رفضها لا نقول له "لا تأتي إلى النادي" لكن نقول له "حسناً لا تفعل ذلك لكن المهم تعال وثابر حتى يخفّ وزنك وتتحسن صحّتك"، فلا نكسر الجوهر بسبب طرف من الأطراف أو إضافة مهما كانت حسنة.

إذن، ديننا أحكام جوهرية وأحكام عرضية. من جمع الجوهرية والعرضية، فهو المحسن التام الإحسان. ومن أخذ بالجوهرية دون العرضية، فقد سلم، وهو خير ممن رفض الجوهرية والعرضية معاً.

...

{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك} القرءان.

{فيما شجر بينهم} بينهم وبين عقولهم، الشجار الفكري.

{ثم لا يجدوا أنفسهم حرجاً مما قضيت} إصلاح المشاعر والخيال.

{ويُسلّموا تسليما} إصلاح الإرادة والتمثّل العملي الحسّي.

فالحاكم القرءان، يحكم على العقل والشعور والخيال والإرادة والحس.

...

اقرأ ولو آية بعد كل صلاة. واجعل الآية في قلبك تذكرها وتتأملها وتُقلّبها وتتدبّرها في قلبك ما بين الصلاتين. وقبل أن تنام اقرأ ولو آية، واجعلها في قلبك تتأملها إلى أن تنام. هذه حياة صاحب القرءان ومحبّه.

...

من أغبى الغباء: صراع أهل الدنيا على "البقاء". أي بقاء أيها الأبله وأنت ستموت حتماً ! أي بقاء ولو ملكت الدنيا ومَن فيها فقد تقع على رأسك متزحلقاً على صابونة في حمامك الذهبي فتذهب إلى قبرك مذموماً مدحورا !
إن كنت ستصارع على شيء، فصارع على نوعية حياة جيدة، حياة عقل وروح وكرامة نفس.
...
{قال عذابي أُصيب به مَن أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون}

لا تقرأ {عذابي} ويخطر ببالك فقط عذاب جهنم الأليم. دقق في الآية.

{عذابي} فنسبه لنفسه، وقدّمه على الرحمة. {أُصيب به مَن أشاء} فعلّقه على مشيئته تعالى.

{ورحمتي وسعت كل شيء} فالرحمة مثل العذاب منسوبة له، لكن الرحمة وسعت {كل شيء} فالرحمة غير متعلقة بالمشيئة بل بالشيء. وأين الشيء من المشيئة ! الشيء دون الله، لكن المشيئة عين الله. لذلك قال {فسأكتبها} يعني الرحمة، {للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون} فكتابة الرحمة مشروطة بكسب العبد، لكن العذاب يُصيب بمجرّد مشيئة الله تعالى. فالعذاب مطلق، لكن الرحمة مقيدة، وأين المقيّد من المطلق !

فما معنى {عذابي أُصيب به مَن أشاء}؟ لاحظ أنه لم يقل "عذابي الأليم" أو "عذابي المهين"، فلم يقيّد العذاب بصفة. ليس كل عذاب أليماً أو مهيناً أو شديداً، فالعذاب المجرّد شيء، والعذاب الأليم شيء آخر، بالتالي قد يكون عذاباً ولا يكون أليماً ولا غليظاً ولا شديداً ولا مهيناً. فجوهر العذاب شيء آخر غير هذه الصفات السلبية. هذا ما أشار إليه-وجهله ولا يزال يجهله أكثر الناس-الشيخ ابن عربي حين فسّر العذاب بالعذوبة. العذاب المجرّد من العذوبة، كما تقول "ماء عذب" أو قبل ذلك كما قال الله تعالى "هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج". وفي اللغة: العذب هو المستساغ. وكذلك تقول عذوب وعاذب بمعنى: ليس بينه وبين السماء ستر. ومن معانيه أيضاً: طرف الشيء.

ما علاقة هذا كله بقوله تعالى {عذابي أصيب به مَن أشاء}؟ تأويله: الذات التي يحبّها الله ويكشف لها الحجاب بينه وبينها ولا يجعل بينهما ستراً ويصلها بطرف تجلياته النفسية فهي المقصودة بقوله {عذابي أصيب به مَن أشاء}. فهو شغف الحب ورفع الستر وكشف السر.

لذلك هو أعلى من {ورحمتي وسعت كل شيء} فالرحمة بالشرط والشيء، لكن العذاب بالمشيئة الخالصة. فالعذاب من الذات، والرحمة من الأفعال، وذات الله أعلى من أفعال الله. وما كان بسبب الله أعلى مما كان بسببك أنت، والتقوى والزكاة والإيمان من أسبابك أنت بينما المشيئة الخالصة من سببه هو تعالى.

فقوله {عذابي أصيب به مَن أشاء ورحمتي وسعت كل شيء} تشير إلى الصنفين من الأولياء المذكورين في آية "الله يجتبي إليه مَن يشاء ويهدي إليه مَن ينيب". فصاحب العذاب هو المجتبى، لاحظ {مَن أشاء} و {مَن يشاء} في الآيتين. وصاحب الرحمة هو المنيب، لذلك قال {مَن ينيب} وفصّل معنى الإنابة بقوله في الآية الأخرى {فسأكتبها للذين يتقون} فالإنابة هي التقوى والزكاة والإيمان بالآيات. وأكمل الأولياء، مَن أصابه عذابه في سرّه، وأصابته رحمته في نفسه، وهم أصحاب الحب والحكم معاً.

قالت: في شرحك لأيه عذابي أصيب به من اشاء هل العذاب صفه لله هل هي من صفاته.
قلت: ماذا تقصدي بصفاته؟
قالت: يعني هل يصح ان نقول هي صفه ام اسم من اسمائه ممكن توضيح لهذه النقطه.
قلت: نعم. ماذا الفرق عندك بين الصفة والاسم.
قلت: الأسم كانه اشاره للشي والصفه هي الفعل.
قلت: "عذابي" مثل "رحمتي". هي سِمة وليست اسماً، ويظهر لها أثر في المخلوق فهي أساس الفعل. فكما أن فعل الرحمة يُظهر أثراً في المرحوم فكذلك فعل العذاب يُظهر أثراً في المُعَذَّب.

...
{لتستووا على ظهوره} ما تأويل هذا؟
الآية تتحدّث عن القرءان. قال قبلها {والذي نزّل من السماء ماء بقَدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون} فالقرءآن هو الماء النازل بقدر "وقرءاناً فرقناه"، والبلدة الميتة جهلة الناس والغافلين "بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته". قال الله "كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور".
وقال بعدها {والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون}
فالأزواج هي آيات الآفاق والأنفس في القرءان، {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم}، فكل آية في الآفاق لها زوج مثلها في الأنفس.
الفلك والأنعام، ما تركبه في البحر والبرّ. كالدنيا والآخرة، العلم والحكم، وبقية الأزواج، لكل واحدة منها آية يركبها المؤمن لينجو أو ليرتاح.

وأعطاك مفتاح الآية بقوله {سبحان الذي سخّر}، فقوله {سبحان} يدل على أمر يتعلق بالملكوت والآيات والعلم، مثل "سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا"، وقوله "سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون".

{لتستووا على ظهوره} القرءان له ظهر وبطن. والاستواء يكون على الظهر. هذا تأويل. وتأويل آخر، للقرءان عرش وفرش، والاستواء يكون على عرشه، "استوى على العرش"، وعرش القرءان روحه القدسي "نزّله روح القدس من ربك بالحق" كما أن فرشه لسانه العربي "بلسان قومه".

{ثم تذكروا نعمة ربكم} كما قال في القرءان "ما أنت بنعمت ربك بمجنون".

{إذا استويت عليه} حين ترى القرءان معك وتيسيره لك "لقد يسّرنا القرءان للذكر".

{وتقولوا سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين} كما قال النبي عن القرءان "تعاهدوا هذا القرءآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقلها". فضرب للقرءان مثلاً بالإبل، وهي من الأنعام المركوبة. فنحن غير مقرنين للقرءآن، ولا نستطيع التحكم فيه، كما قال الله في سورة سبحان الإسراء للنبي نفسه "لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا".

{وإنا إلى ربّنا لمنقلبون} لأن القرءان يدلّك على الرجوع إلى الله، "إن الذي فرض عليك القرءآن لرادّك إلى معاد".

فحين تقرأ القرءان وتعرف روحانيته، "أوحينا إليك روحاً من أمرنا" ستعرف أنه من أمر ربنا وليس من أمرنا، بالتالي وجود القرءآن في عالَم الفناء والأرض أمر عجيب وغريب "سمعنا قرءاناً عجبا" "وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم" فكون الله أنزله إلينا أمر عظيم من أمر الرحمة وعجيب، فليس من شأنه أن يكون عندنا هنا وبهذه الصورة، لذلك نقول {سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين} حين نستوي على ظهوره. أصل القرءان باطني وغيبي وروحي من أمر ربي، بالتالي بطونه هو الأصل، فإذا وجدناه ظاهر بيننا ولا نستطيع الإتيان بمثله ولا نستطيع ضمان عدم ذهاب الله به، فالتسبيح لمن بيده ملكوت كل شيء هو الواجب بالفطرة.

فإذا سألت نفسك: ولماذا أنزل الله إليّ هذا القرءان؟ ستعرف أن فيك نفساً خالدة، وهي لله، لذلك تقول {وإنا إلى ربنا لمنقلبون} بهذا الروح الذي من أمر ربنا، فالقرءآن جاء لينقلب بنفوسنا إلى ربنا.

...

{ولقد كرّمنا بني ءادم} أولوا العلم. "وعلّم ءادم الأسماء كلها". أما الجهلة، فهم ذرية الشيطان، "شياطين الإنس والجن" "أتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو".

{وحملناهم في البرّ والبحر} بآيات الحكم وآيات العلم، حملنا نفوسهم.

{ورزقناهم من الطيبات} الأمثال الحسنة والأسماء المكرمة حتى تتخلّق بها نفوسهم.

{وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً} بالعلم النازل والكتاب الماثل، "وكان فضل الله عليك عظيماً".

...

مَن قاتل أي إنسان بسبب دينه، وأخرج أي إنسان من داره بسبب قوله أو دينه، وظاهر ولو بكلمة على ذلك القتال والإخراج وكان من شأنه مظاهرتهم، فهو عدونا ولو كان مَن كان، ولا نلقي له بالمودّة.

ومَن لم تكن من سنّته قتال الناس في الدين والأقوال وإيذائهم بسبب ذلك بأي شكل، فنبرّه ونقسط إليه، كائناً مَن كان بعد ذلك، بحسب الحال.

لهذا السبب، أنا عدو كل الذين يعتبرون قتال الناس في الدين والأقوال أمراً واجباً ويعتبرون عدمه بدعة أو كفراً أو ضلالة أو تهاوناً في الدين وما شابه. أنا برئ منهم في الدنيا والآخرة، ولو كانوا ممن يقرأ كتاب الله فعليهم لعائن الله المتتالية على عنادهم وإصرارهم على ذلك الكفر بالرغم من قراءتهم كتاب الله ودعواهم الكاذبة بأنهم من أهل الإسلام.

هذا من فقه سورة الممتحنة.

...

{إنا أنزلناه في ليلة القدر}

هي ليلة لأنها عدم، {ليلة القدر} انعدام القدر، فراغ، قابلية محضة. {إنّا} تمام النور، الكمال الخالص، الإطلاق الكوثري. إذن {إنّا} وجود محض، {ليلة} عدم محض، ومن الوجود إلى العدم وقع {أنزلناه} درجة فدرجة، صار الوجود له درجات من الأعلى إلى الأدنى، "رفيع الدرجات ذو العرش".

...

{اذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومَن تأخّر فلا إثم عليه}

التكليف يأتي للغافلين. مَن كان يذكر الله في كل الأيام، فلا داعي لمخاطبته بأمر {اذكروا الله في أيام معدودات}، فالأمر يأتي لإيجاد شيء معدوم، وأما الأمر بإيجاد الموجود فهو تحصيل حاصل وهو عبث يجلّ الحكيم تعالى عنه. لولا الهوى والغفلة لما نزلت الشريعة ولا الطريقة. على قدر الهوى ينزل الهدى.

...

قد تتألم لفترة بسبب عدم تغييرك لشيء هو أمامك من أوّل الأمر، وتغييره أيسر بألف مرّة من كل المعاناة التي تعانيها. مجرد تغيير بسيط قدر يغيّر حياتك من المعاناة إلى الراحة، ومن التشتيت العقلي إلى التركيز، ومن الاضطراب والاعتقاد بوجوب جلب أمور بديعة جديدة إلى رؤية بساطة الأمر وسهولته النسبية بين يديك.

...

{وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}

أصحاب موسى قالوا {إنا لمُدرَكون} هؤلاء الحواس. الحواس تقول لك: أمامك أمور مغلقة لا حلّ لها ولا فاتح ولا كاشف لها. لكن الروح تقول لك {كلّا إن معي ربي سيهدين}. {كلّا} هذه هي سيف الروح لقطع رقبة الحاسّة الكافرة المغطية لقوّة الله وحضوره.

{فرقنا بكم البحر} لا يقف أمام أهل الله وذكره وكلمته شيء. النجاة حتمية لهم بتقدير الله وفرضه وكتابته "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي".

البحر الذي ينجّي الله به بني إسرائيل هو البحر الذي يغرق فيه آل فرعون. ما هو البحر؟ درجة منه: الطبيعة. الطبيعة كلها بحر أمام النفس الطالبة لتجاوزه إلى الملكوت، "كذلك نرى إبراهيم ملكوت"، فالطبيعة التي أغرقت نفوس آل فرعون وجعلتهم عبيداً للدنيا ومساجينها، هي ذاتها التي يفرقها الله ويكشف من خلالها حقائق الأرض المقدسة الأخروية. الطبيعة أمثال كاشفة لبني إسرائيل، وسجون حابسة لآل فرعون. فانظر أيهما أنت. درجة أخر: البحر القرءان. مَن سار مع موسى الروح الباطني ينجو، ومَن سار مع فرعون البدن الظاهري يغرق. درجة ثالثة: كل مصيبة وفتنة في الدين، فمن كان دينه مجرد وسيلة لنيل الدنيا كالمنافقين غرق عند كل مصيبة وارتدّ على عقبه، ومَن كان دينه ابتغاء فضل ورضوان الله والفوز بالآخرة العليا الأبدية كانت المصائب منجية له لأنه يقول "إنا لله وإنا إليه راجعون" فتناله "صلوات من ربه ورحمة وأولئك هم المفلحون"، فالمصيبة دمار لدين المنافق وعمار لدين المؤمن.

...

{إن كذّبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يُردّ بأسه عن القوم المجرمين}

تكذيب النبي وصاحب القرءان بالتبعية. {فقل ربكم ذو رحمة واسعة} لمن تاب واتصل. {ولا يُردّ بأسه عن القوم المجرمين} البأس الذي سينزل على رؤوس المجرمين الذين انقطعوا عن النبي والقرءان يساوي كل بؤس أصاحب الرسل والأنبياء والأولياء عانوه إرادة لتوصيل وتبليغ الرسالة لهم. فكل بؤس صاحب الكتاب يتحوّل لبأس على رؤوس المكذّبين به إن انقطعوا، لكن إن تابوا يصبح رحمة لهم ولن يؤاخذهم به. معاناة الرسل في كل عصر عزيزة على الله تعالى الذي بعثهم، وهي مخزونة عنده مقدّرة، وسيجعلها رحمة لهم في الآخرة، فإن آمن الناس كان خيراً لهم، وإن كفروا تحوّلت إلى بأس شديد يجده المجرمين في نفوسهم دنيا وآخرة. صاحب القرءان جنّة للمسلمين ونار للمجرمين.

...

{والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير}

ظاهر: الزواج ليس قانوناً يجب فرضه على الجميع، بل هو أمر شرعي لكل مؤمن ومؤمنة القيام به في نفسه. في البلاد التي تشترط شروطاً ليست في كتاب الله في أمر الزواج والطلاق، لا يمكن اعتبار هذه القوانين والشروط ملزمة للمؤمنين والمؤمنات على نحو التدين، وإن أخذوا بها على نحو التعايش بحسب الوضع الاجتماعي المبني على أحكام الأكثرية. لكن في حال كان العرف يسمح بالخروج عن "الزواج الرسمي" بحسب القانون الذي يشترط شروطاً ليست في كتاب الله، فإن العمل بحسب مقتضى الشريعة في دائرة العرف المفتوح الأفق، أمر جائز. مثلاً : للمؤمنين أن يعملوا بأنفسهم بحسب أحكام كتابهم، ويقسّموا في الوصية المفتوحة الأفق المواريث بحسب أحكام شريعتهم، ويبتعدوا عن الدولة وقانونها بقدر الإمكان طالما أن القانون لا يطالهم ولا يفرض عليهم أمراً معيناً. فحتى إن كانوا في عين الدولة ليسوا "متزوجين" لعدم قيامهم بكل تلك الشروط القانونية الرسمية، فهم في عين الله إن أقاموا حكم كتابه بينهم متزوجين حقاً والعبرة بهذا. مثاله هذه الآية: التربّص أربعة أشهر وعشراً ليس في القوانين الوضعية، لكن هو حكم شرعي، فحتى إن أجاز القانون للمرأة المسلمة التزوج قبل الأربعة أشهر وعشراً فعليها أن لا تتزوج إلا بعد هذه الفترة. والعكس صحيح. قد يمنع القانون المرأة أو الرجل من أمر ما إلا بشروط معينة، لكن يكون العرف يسمح به ولا تتدخّل الدولة بفرض ذلك القانون، يعني الدولة لا تصحح المعاملة إلا بعد استيفاء شروط القانون لكنها لا تتدخل فيمن يقوم بأمر ما وراء ذلك، حينها على المؤمنين إقامة شرعهم بينهم ولا يهمهم وجود أو عدم وجود قبول الدولة رسمياً لتعاملاتهم، فمثلاً: لنقل أن القانون في دولة ما لا يصحح زواج الرجل من

أكثر من امرأة، لكن لنفرض أن ثلاث نسوة يعتقدن بحرية تامة بجواز ذلك وأردن الارتباط برجل واحد على شروط بينهم بحسب إيمانهم، لكن في تلك الدولة نفسها يجوز للرجل عرفاً وقانوناً اتخاذ سبعين عشيقة وصاحبة بدون أي حقوق أو واجبات بينهما إلا بحسب هواهم، فبما أن الدولة لا تفرض على كل رجل امرأة واحدة ولكل امرأة رجل واحد جبراً، بل تسمح بتعدد العشيقات وتمنع تعدد الزوجات بحسب تعريفها هي للزواج طبعاً والذي لا يوافق بالضرورة ما عند المؤمنين بشرع ما أيا كان دينهم ومذهبهم، فليكن، لهؤلاء أن يقيموا ما يشاؤون فيما بين أنفسهم بحرية كاملة كما هو مقتضى الشريعة القائمة أصلاً على الحرية الاختيارية الكاملة ولا يوجد جبر حكومي في حكومة الرسول أصلاً كما بيّناه سابقاً ومراراً، فلهؤلاء التعارف بينهم والتواضع على شروطهم وحدودهم، وإن كانوا في أعين الحكومة رجل معه عشيقات كثر، لكنهم في عين الله رجل متزوج بزوجات كثر، فلم يخالفوا القانون ولم يكسروا العرف الاجتماعي، لكنهم أقاموا ما يؤمنون به. لابد من السعي في كل مجتمع لإخراج الدولة من التدخل في الأمور الدينية مطلقاً، لا بإيجاب ولا بسلب، وكل ما عليها فقط التأكد وضمان أن لا جبر على أحد في ما يدخل فيه من تعاقد ثم الحكم بحسب العقد الذي يقيمه الناس باختيارهم في حال اختلفوا ورجعوا إليها لفضّ النزاع. أما تحديد تفاصيل الأمور التي لم تزل دينية منذ القدم إلى اليوم، فليس من شأن أي دولة تقوم على الفصل بين الدين والحكومة التدخل فيه أساساً. مثال آخر: لنقل أن القانون يفرض إعطاء الأنثى مثل الذكر في الميراث، لكن لنقل أن شريعة بعض الناس تفرض إعطاء الأنثى أكثر من الذكر أو أعطاء الأنثى وحرمان الذكر أو إعطاء الذكر أكثر من الأنثى، أيا كانت الحالة، في هذه الحالة لابد من اللجوء إلى مخرج قانوني، فإذا كان القانون يسمح بتقسيم التركة بحسب الوصية بحرية كاملة للموصي، فعلى صاحب المال أن يكتب وصيته بحسب إيمانه وشريعته، وبذلك يكون لا يكسر القانون ويقيم شريعته. وهكذا في كل أمر. الشريعة من أحكام الآخرة، والقانون من أحكام الدنيا، والذي يُهلك آخرته من أجل دنياه سفيه بل جاهل كافر. دولة الدنيا الحسنة غرضها تحرير الناس من بعضهم البعض، وضمان حرية اختيارهم وتعاقدهم وكونهم في سن رشد يملكون فيها الاختيار لأنفسهم، هذا أصل مبرر وجودها، ما وراء ذلك كله تدخّل غير مشروع في شؤون الأحرار.

لاحظ قول الآية {فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف} فهي التي تفعل في نفسها ما تشاء، والمعروف أمر مفتوح يتغيّر بتغيّر الشرائع والمجتمعات. لكن الأصل هو أن للمرأة أن تفعل في نفسها ما تشاء. في الفاعلة في نفسها، وليس لأحد أن يفعل فيها بغير إذنها. لذلك قال "لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً".

باطن: {الذين يتوفون منكم} الروح. "يا عيسى إني متوفيك".

{ويذرون أزواجاً} النفوس المتعلّمة القابلة من الروح. يذرونهم في الدنيا.

{يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً} أربعة أشهر كالأشهر الحُرم، وعشرة مثل "ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة". فتترك نفسها هذه الفترة حتى تهضم كل ما أخذته من الروح من تعاليم، فإن النفس تحتاج إلى وقت لتهضم ذلك. النفس تتربص بنفسها {يتربصن} ولم يقل: تربصوا بهن أربعة أشهر. فكل نفس مسؤولة عن نفسها، "عليكم أنفسكم".

{فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهم بالمعروف} بالتعلّم من روح آخر، أو بإظهار ما تعلّمته بعمل خاص.

{والله بما تعملون خبير} فالرقابة لله وحده، فالنفوس حرّة من بعضها البعض لأنها مملوكة لله وحده "لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله".

...

{سبحان الذي أسرى بعبده}

يقول الملحد: من الخرافات إتيان براق والسفر بمحمد إلى السماء.

قول: إذا كنت أنت تقول بأن الإنسان مجرد ذرّات هباء كهباء النجوم أو ابن عم الشمبانزي، ونحن نرى أن الشمبانزي هذا استطاع صناعة طائرات وصواريخ من معادن مثل الحديد والزيت واستطاع الطيران بها، وصنع من معادن أخرى وأشياء ميتة ألبسة لرواد الفضاء تحميهم من آثار الصعود في السماء، فأي صعوبة في الاعتقاد بأن رب الشمبانزي قد صنع حيواناً أو كائناً خاصاً يستطيع القيام بمثل ذلك أو ما هو أعلى منه. "تلك إذاً قسمة ضيزى".

يقول الظاهري: {بعبده} يعني بروحه وجسده معاً.

أقول: ليس بالضرورة. قال الله {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب} فأنزله على {عبده} كما قال هناك {أسرى بعبده}. وقد نصّ على ما أنزله عليه فقال {نزل به الروح الأمين. على قلبك} فنزوله على قلبه هو نزوله على عبده. كذلك، "لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء" فهم أحياء بالرغم من أن أبدانهم معنا في الأرض مدفونة أو هالكة، فحقيقة الإنسان ليست بدنه.

يقول الظاهري: لم يكن الإسراء رؤيا فإن الرؤيا لا أمر عجيب فيها يؤدي إلى تكذيبها.

أقول: بل فيها أمر عجيب.

يوسف رأى رؤيا فكذّبه إخوته واعتبروه سارقاً لحبّ أبيهم بها. حتى تبيّن لهم صدقه بعد ذلك. لأنها رؤيا حق وليست مجرد أضغاث أحلام. المغالطة أنهم يساوون بين الرؤيا وأضغاث الأحلام. "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام" هذه رؤيا حق، فيها نبأ من الله، وليست مثل أي متخيّل يتخيّل بذهنه السافل صورة الدخول إلى المسجد الحرام أو حتى يراها في منامه من باب التمنّي الذي يتجسّد في صورة خيالية شخصية.

ثم قال النبي أن رؤيته هو في المنام هي رؤيا حق. فمن ادعى أنه رأى النبي فهذا أمر خطير وليس بمثل أي منام من نفث الهوى أو الشيطان.

ثم السفر بالنفس في الملكوت أعلى وأدعى للتكذيب من الملحدين من خارقة حسّية. فهؤلاء ينكرون ذلك لأنهم ينكرون النفس المفارقة للبدن والملكوت المتعالي على الطبيعة، فهذا أصل إنكارهم.

ثم يوجد فرق بين رؤيا أو رؤية لها حقيقة مقابلة لها في الواقع الخارجي، وبين مجرد صناعة الخيال الشخصي في المخيلة الجزئية. نعم، المخيلة الجزئية الشخصية لا عجيبة فيها، فكل كاتب روايات خيالية يستطيع أن يأتيك بصور عجيبة غريبة وعوالم كثيرة، والآن أنت تستطيع فعل ذلك، بل تستطيع أن تقول كلاماً "تكاد السموات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا. أن دعوا للرحمن ولدا"، فالكلمات يمكن أن تصنع أي صورة ولو كانت عدمية ومن أشدّ المحالات محالاً. فليس الكلام إذن عن المخيلة الشخصية أو الكلمة اللفظية. الكلام عن الخيال الحقيقي والكلام الواقعي، الخيال الحقيقي للنفس مثل الحواس للبدن، فكما أن حواس البدن ترى الواقع الطبيعي الخارجي إن كانت حواساً سليمة وينبني على هذه المحسوسات العلم الطبيعي، كذلك الأمر في حواس النفس والذي منه الخيال الحقيقي السليم وهو الذي تنطبع فيه صور مثل "صدق الله رسوله الرؤيا بالحق" أو مثل قول إبراهيم "يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك" فكيف يقول الظاهري المادي وشبيه المنافق من المسلمين بأن الرؤيا ليست ذات شأن عجيب تدعو إلى تكذيبها إذا كان إبراهيم كاد يذبح ابنه من أجل رؤيا.

الاعتراض على الإسراء أو العروج المادي ليس لأنه مستحيل مادياً كما يقول الملحد أو مَن يستبعد ذلك. كلا. الاعتراض هو أنه لا يوجد في العالَم المادي هذا الذي فوق رؤوس أبداننا ما يستحق الصعود له أصلاً. كله مادة في مادة في عالَم المادة. السفر من طبيعة إلى طبيعة، والحركة داخل الطبيعة لا تؤدي إلا إلى رؤية الطبيعة. وهكذا اعتراضات من جوانب شتّى، لا علاقة لها باستبعاد ذلك من الناحية المادية. فنحن نرى الآن مادياً حركة سريعة وضوئية ونقل

لصور وألفاظ وأصوات في ثانية واحدة من أقصى الأرض إلى أقصاها، وهذا بعمل البشر. القضية ليست الاستبعاد، القضية فهم الآية على وجهها.

تنبيه: في نفس سورة الإسراء قال {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} والسورة يفسّر بعضها بعضاً، كما أن القرءان يفسّر بعضه بعضاً. وفي هذه الآية شاهد على معنى كون الإسراء رؤيا، والأهمّ من ذلك أنه دليل قاطع على أن الرؤيا قد تكون {فتنة للناس} خلافاً لمن يزعم من الظاهريين المسلمين أن الرؤيا لا يمكن أن تكون فتنة للناس ويعتقدون بأن الإسراء والمعراج إن لم يكن بالجسد المادي فلا يدعو إلى تكذيبه والاستغراب منه كما فعل المشركون وارتدّ من ارتدّ بسببه.

تنبيه آخر: الشيخ ابن عربي قال في خطبة فصوص الحكم أنه رأى رسول الله وأعطاه الفصوص. كم مسلم يصدّقه في ذلك؟ كل الذين اعترضوا ولا يزالون يعترضون على فصوص الحكم ينكرون على الشيخ صدق هذه الرؤيا وما نتج عنها. وإلا فلو صدّقوه لاعتبروا جوهر أو جوهر ومظهر فصوص الحكم من رسول الله، ولاعتبروا الشيخ بمنزلة الصحابي المبلغ لحديث النبي من هذه الجهة. إذن، كلا، الناس كانوا ولا زالوا من المسلمين وغير المسلمين يعتبرون الرؤيا {فتنة للناس} أو مدعاة للتكذيب والرفض.

...

{إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن} كيف؟ وبماذا؟ هذا مثال على الأمر الواسع الذي يخصصه القارئ.

{يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك...فبايعهن واستغفر لهن الله} فثبت بالبيعة إيمانهن، وإلا لما استغفر لهن لأن الاستغفار لا يكون للكافر ولا للمنافق، فلم يبقَ إلا أنه للمسلم والمؤمن، فلما قال {إن الله غفور رحيم} فتجلى باسم الرحيم الخاص بالمؤمنين "كان بالمؤمنين رحيماً"، عرفنا أنه بالبيعة ثبت إيمانهن.

إذن، بالهجرة والبيعة يثبت إيمان النفس. بالهجرة تثبت الولاية، {فلا ترجعوهن إلى الكفار} "ما لكم من ولايتهم شيء حتى يهاجروا". وبالبيعة يثبت الإيمان والدخول في الأمر الجامع للنبي، {يا أيها النبي}.

...

{يا أيها الذين ءامنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار من أصحاب القبور}

النهي هنا ليس عن تولي الكفار، لأن القياس كان على الكفار، {قد يئسوا..كما يئس الكفار}. فالكلام ليس عن المؤمنين، لأن ولاية المؤمن حق، "إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا". وليس عن الكافرين، فهذا أمر مفروغ منه. فمَن بقي؟ بقي المنافقون. المنافق الذي يُظهر الإسلام، لكن ليس فيه نور الإيمان، وهذا المنافق الظاهري هو المسلم الذي فعلاً يئس من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، فهو الذي يأخذ الدين للدنيا، ويعتبر ظاهره فقط دون باطنه، وينظر لبدنه دون نفسه، فهذا يئس من الآخرة لأنه من الذين "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون".

...

{مبشّراً برسول يأتي من بعده اسمه أحمد}

حتى على مستوى الظاهر، ليس ليهودي ولا مسيحي الاحتجاج بهذه الآية على أن نبينا اسمه محمد وليس أحمد.

أما اليهودي، فلديه في كتابه أن "أبرام" كان اسمه هكذا بدون (هـ)، فلمّا تحوّل حاله وجاءه الوعد الإلهي صار اسمه "أبراهام"، فأضاف له حرفاً، فتغيّر من اسمه حرف، قبل وبعد حالة معينة. كذلك نقول هنا: نبينا كان اسمه "أحمد" حين كان في ستر الغيب، فلمّا ظهر للشهادة صار اسمه "محمد" فتغيّر من لفظ اسمه حرف. أو للتدقيق: في الخطّ تغيّر حرف واحد، لكن في النطق تغيّر في حرفين، فالألف بدلاً من الميم، والميم الثانية صارت مشددة وهي بحرفين. فالتغيّر كان في حرفين. وجوهر الحجّة واحد من حيث تغيّر بعض حروف الاسم لتغيّر الحال. كذلك اليهودي، لديه أن إسرائيل كان اسمه ياكوف، فصار يسرايل، أو يعقوب إلى إسرائيل طلباً للاختصار، وذلك بأن أن "صارع" ملكاً من الملائكة كما يروون في كتابهم، المهم بعد حادثة معينة صار له اسم جديد بالكلية وإن بقي له الاسم الأول لكن صار له اسم آخر يوازيه أو لعله يطغى عليه. فهذا مثال على تغيّر حرف أو الإتيان باسم جديد لنفس الشخص بعد واقعة معينة وتبدّل حصل له.

أما المسيحي، فلديه في كتابه نبوءة يدعي أنها متحققة في يسوع وهي أن اسمه سيكون "عمانوئيل"، وهو يعتقد بأن يسوع هو عمانوئيل هذا، بالرغم من أنه لا يوجد ولا مرّة واحدة في كتابه ذاته أن ناداه أحد باسم عمانوئيل، أو سمّى هو نفسه باسم عمانوئيل. بينما نبينا في الرواية المشهورة أشار لنفسه بخمسة أسماء منها محمد وأحمد. فإن قال المسيحي: لا يوجد في القرءان نداء محمد باسم أحمد، نقول: لا يوجد حتى نداؤه باسم محمد وإنما هو نداء باسم الرسول والنبي "يا أيها الرسول" و "يا أيها النبي" لا يوجد "يا محمد"، هذا أمر،

والأمر الآخر كذلك لا يوجد في كتابكم نداء ليسوع باسم "يا عمانوائيل" لا من قريب من تلاميذه أو أهله ولا من بعيد من خصومه وأعدائه. فكما استقام هذا عندكم فليستقم ذلك.

...

لاحظ في بيعة المؤمنات، كلها نواهي، لا يوجد أمر واحد. {لا يشركن..لا يسرقن..لا يزنين..لا يعصينك} وهكذا. من أولها إلى آخرها نهي عن فعل، نهي عن إيجاد شيء، وليس أمر بإيجاد شيء. وهذا قمّة التيسير والتخفيف. هذا وجه. وجه آخر: المؤمن رمز على الأوامر الفعلية، المؤمنة رمز على النواهي السلبية، والمفتاح من هذه الآية.

...

سألني عن آية {وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور. الذي أحلّنا دار المقاومة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب} وقال: ايش تفسيرك لهذي الايه وهل ممكن نقدر نعيش هالحاله اليوم؟

أقول: {فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون}

فمَن آمن بالله، سيرى الآن في نفسه شيئاً من آثار قولهم {الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور}، لأن الحزن يأتي بسبب مقاساة الشدائد أو بسبب فراق المحبوب. فمن آمن بالله وأدام ذكره ورآه في كل شيء، فهذا لن يواجه شديدة في قلبه لأن الله اللطيف سيكون معه وفي عين قلبه على الدوام، وكذلك لن يفقد محبوبه الذي هو الله تعالى لأن الله معه دائماً أينما كان.

ومَن آمن بآيات الله، سيرى الآن في نفسه شيئاً من آثار قولهم {الذي أحلّنا دار المقامة من فضله} فالقرءان فضل الله "علّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً"، وستكون مقيماً فيه بنفسه وروحك لأنه في قلبك "بل هو آياته بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم". {لا يمسّنا فيها نصب} نصب التفكير لمعرفة حقائق الأشياء لأن الله بيّن كل شيء فيه ويسّره "لقد يسّرنا القرءان للذكر". {ولا يمسّنا فيها لغوب} وهو التعب لأن القرءان راحة النفس وشفاء لما في الصدر وتفيض معانيه بفضل الله على النفس بسهولة وإلقاء روحاني "يلقي الروح من أمره على مَن يشاء من عباده".

فشيء من آثار الآيتين تجده في نفوس أهل الله والقرءان، الآن.

أما تمام ظهور الآية، فبعد الموت في الآخرة الأبدية. فما دامت النفس في الدنيا، فلابد من شيء من الحزن كحزن يعقوب على يوسف، وشيء من النصب واللغوب مثل الجهاد في سبيل الله والصبر على أذى الكافرين والمنافقين وجهل المسلمين، ومصائب الدنيا والابتلاءات فيها "

لنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين" وقال "تواصوا بالصبر" بالتالي لابد من الصبر، ولا صبر إلا مع وجود شيء من النصب واللغوب والحزن والأذى. لا تستعجل القرءان في الدنيا فتكفر به. الملحد هو فقط الذي يريد ظهور القرءان كله في الدنيا، مثل عبّاد العجل من بني إسرائيل، "أعجلتم أمر ربكم". كذلك يوجد عبّاد عجل في المسلمين، وهم الذين قال النبي عنهم في تعاملهم مع القرءان "يتعجّلونه ولا يتأجّلونه" يعني يريدون ظهوره كله في العاجلة التي هي الدنيا ولا يريدون الصبر على ظهور حقيقته التامة في الآخرة الأبدية لأنهم يكفرون بها. {إن هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً طويلاً}.

...

قال: لدي سؤال آخر و هو داء فيّ أبحث له عن دواء

فدائي هو شدّة التّعلّق بالأسباب و كثرة التّخطيط ثم التّحسّر لو لم تجري الأمور كما ينبغي و يظل يشغلني النّدم لعدّة أيّام و أفكّر أنّه يا ليتني عملت و يا ليتني فعلت و أجد نفسي قد نسيت التّوكّل على الله و التّسليم لما حدث من أمر، و أخاف أن يكون هذا نوع من الشّرك بالله و العياذ بالله، فأنا أحكّم الكثير من الأمور بعقلي فقط و لا أصبر لأفهم أكثر و ذلك يشمل فهمي للقرآن أحيانًا فأجدني لا أتقبّل قصصًا كقصّة قوم ثمود مثلًا و أنّه حل عليهم العذاب لقتلهم ناقة، أؤمن أن قصص القرآن هي أمثال لا تقتصر على المعنى الظّاهر لكنّي أخاف أحيانًا أن لا أجد لها تفسيرًا منطقيًا و أشعر بالحرج منها في قلبي. باختصار أشعر أن دواخلي ما زالت غير طاهرة و أرغب بأن أكون من المطهّرين بإذن الله تعالى، فهل أجد عندك حل لهذا؟

قلت: بالنسبة لتحكيم العقل في الأمور: فتوكل ثم تعقل ثم توكل. وإلا فيوجد دائماً ما لا نهاية له من أسباب فشل أي شيء مهما كانت الخطة محكمة ودقيقة، وكذلك تذكر أنه نهاية كل تخطيطات كل الناس هي الموت والقبر، المهم ابذل جهدك وخذ حذرك ولتكن حياتك للدين فهذا هو المهم الجوهري والباقي كلها وسائل وأطراف.

بالنسبة لقصة ثمود: هؤلاء كانوا لا يعترفون بحدود لقوتهم وسلطتهم، طغاة عسكر يعني. "هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود". والناقة كانت مثالاً أخيراً لهم لرؤية هل سيلتزمون بوضع حد لسلطتهم أم لا، فرفضوا، فدمرهم لأنهم طغاة بشكل عام. فالقضية ليست مجرد ناقة، القضية تحديد السلطة. الله نفسه يحكم بالرحمة والعدل ولا يظلم، فليس من حق أي إنسان أن تكون سلطته مطلقة أساساً، فلما فعلوا ما لم يفعله حتى الله تعالى لم يستحقوا الوجود.

...

سألني عن ماذا يدرس، العربية أم علم النفس، فقلت له:

رأيي الجمع بين ثلاثة.القرءان، وعلم طبيعي، وعلم إسلامي (كالعربية).

حتى لا تملّ من ناحية

وحتى تنظر كيف تتداخل العلوم ببعضها ويفيض بعضها على بعض

إذا صعب عليك هذا، وكنت تفضل التركيز على إما النفس وإما العربية،

فادرس النفس أولاً.

لأن العربية وسيلة، لكن العلم بالنفس مقصد.

فسألني عن معنى العلم الطبيعي مثل الفيزياء يعني فقلت:

نعم كل العلوم عموماً المتعلقة بطبيعة الأكوان أو طبيعة الإنسان

...

{كنتم خير أمّة} الأمّة لها عملان علويان، وعملان سفليان. العلوي الأول هو العلم الديني، العلوي الثاني هو الحكم السياسي، السفلي الأول هو التجارة والحرفة، السفلي الثاني هو العمل اليدوي والخدمة. كله خير، كله مهم وجوهري، ولا قيام لأمّة بدون الأربعة.

{أُخرجت للناس} فالكلام في الآية عن الأمّة من حيث عملها الظاهر للناس، وإلا فلا يكون خيراً لهم ما كان سرّياً مخفياً عن قدرتهم على الشهادة عليه والتأسي به.

{تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} السلطة التشريعية شائعة فيهم كلهم، والإيمان عندهم حر عن تعقل ورؤية. فهي أمّة أحرار لهم الاختيار والقرار. الأمر والنهي للإرادة، والإيمان للقلب بتعقله وتفقهه. إرادتهم حرة، قلبهم حر، هذه القاعدة. ثم فوقها بناء، وهو أن إرادتهم تأمر بالمعروف وليس بالمنكر، وتنهى عن المنكر وليس بالمعروف، وتؤمن بالله ولا تكفر به. فلذلك هي خير أمّة. بهذا النمط العام. فالكلام في الخيرية غير راجع إلى تفاصيل المعروف والمنكر، ولا حتى تفاصيل الإيمان بالملائكة فما دونهم، بل الكلام عن المبادئ الكلية. فمن كانت فيهم هذه المبادئ الكلّية، فهم خير أمّة. قدّم ذكر سلطة الأمر والنهي الشائعة على الإيمان بالله لأن المستعبد في إرادته لا إيمان له، ودينه ليس كله لله، وذلك وجبت الهجرة والقتال والإكراه وإن كان الإنسان معذوراً فيه لكن هو كأكل الميتة والخنزير لا يجوز الركون إليه بل يجب العمل على الخروج عن الاضطرار إليه، ولذلك لا يُعذَر كل مستضعف في الأرض إن لم يهاجر في أرض الله الواسعة مثلاً.

خير أمّة مبنية من أفراد كل واحد فيهم أمّة "إن إبراهيم كان أمّة" أو أكثرهم كذلك. معنى ذلك، أن كل فرد فيهم صاحب دراسة وصاحب سياسة وصاحب حرفة وصاحب خدمة. فدراسة القرءان وتعلّم آيات الله عمل الأكثرية ومدار حياتهم، والشورى عامّة شائعة فيهم "أمرهم شورى بينهم" ويهتمّون بأمور الأمّة فهم منهم، ويعيشون من كسب أيديهم وليس من دينهم ولا من عملهم السياسي أساساً ولذلك إيمانهم ورأيهم غير مبني على طلب المال بواسطة الدين والسياسة كأصل ولكل واحد حرفة ومهنة يرجع إليها "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه"، وكذلك كل واحد صاحب خدمة في بيته ومع أهله كما خدم موسى أهله "لعلي آتيكم منها بقبس" "لعلكم تصطلون" فكلّمه الله في ذلك الوجه من الخدمة لأهله وكان قبل ذلك له مهنة هي رعاية الغنم "أهشّ بها على غنمي". لا يوجد فصل بين الطبقات العلمية والسياسية والحرفية والخدمية في خير أمّة أخرجت للناس. كل فرد جامع للطبقات الأربع. هذا حال أكثرهم على أقلّ تقدير وهو نموذجهم في العمل والسعي.

{ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون} قال أوّلاً وحكم بالتعميم {لو آمن أهل الكتاب} فدلّ على أنهم لم يؤمنوا، ثم فرّق وفصّل فأثبت أقلّية مؤمنة {منهم المؤمنون} فلماذا عمم؟ لأن {أكثرهم الفاسقون} فالله يحكم على الكل بحال الأكثرية. " وما كان أكثرهم مؤمنين". والرسول يحكم على الكل بحسب حال الأكثرية كما قال "إن قومي اتخذوا هذا القرءآن مهجوراً" بالرغم من أنه آمن من قومه قلّة "السابقون الأولون من المهاجرين". فحكم الله ورسوله مبني على الحكم على الكل بحسب حال الأكثرية، في الأمور المتعلقة بالأمّة والقوم. ذكر هذا المعنى هنا، لأن الآية تتحدث عن {خير أمّة} من حيث جانبها الظاهري الاجتماعي السياسي، فكيف تكون {أمّة} يعني أمّة واحدة فلم يقل أمم، ويشهد له " إن هذه أمّتكم أمّة واحدة"، فكيف يمكن التوحيد بين الناس في الأمر الأممي والقومي إذا كان الناس "لا يزالون مختلفين" والشرع "أمرهم شورى بينهم"؟ الجواب: بالحكم بالأكثرية، كما هو حكم الله ورسوله. فالشورى عامّة للكل، والعمل المتعلق بالكل بحسب قول الأكثرية. وأما فيما يتعلق بالدين وأمر الآخرة فالعمل فيه لكل فرد بدون إكراه، قولاً وفعلاً، "لا تُكلّف إلا نفسك" "عليكم أنفسكم لا يضركم مَن ضلّ إذا اهتديتم" "كلهم آتيه يوم القيامة فرداً" "لا تملك نفس لنفس شيئاً". إذن: في أمر الأمّة الحكم بحسب مبدأ الأكثرية، وفي أمر الدين الخاص الحكم بحسب مبدأ الفردية. هذه قاعدة خير أمّة أخرجت للناس.

{لن يضرّوكم إلا أذى} هذه الكرامة الأولى لخير أمّة أخرجت للناس. لا يمكن الإضرار بجوهرها ونفسها، وإنما يقع الأذى عليها بسماع ألفاظ ضدّها "لتسمع..أذىً كثيراً"، أو لبدنها ومالها " لنصبرن على ما آذيتمونا".

{وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون} هذه الكرامة الثانية لخير أمّة. هي أشرف وأقوى أمّة برعاية الله وعنايته بها ونصره لها. "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين".

{ضُربت عليهم} أهل الكتاب الذين أكثرهم الفاسقون. سرى هذا الأمر في أهل هذا الكتاب يعني أهل القرءان.

{الذِلّة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس} فقدوا أمّتهم الواحدة الجامعة لهم، فإن الأمّة من الأمّ أي الجامعة. وهذا من تقطيعهم في الأرض أمما.

{وباءوا بغضب من الله} فالذلة من الناس. والغضب من الله، فقلوبهم مظلمة.

{وضُربت عليهم المسكنة} حالتهم النفسية. فالذلّة قيمتهم عند الناس، والغضب عند الله، والمسكنة حالتهم العامة فيما بينهم وبين أنفسهم.

ما سبب لك ذلك؟

{ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله} هؤلاء شيوخهم.

{ويقتلون الأنبياء بغير حق} هؤلاء حكامهم. يقتلون على الكلمة والديانة "أوكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون".

{ذلك بما عصوا} فيما بينهم وبين الله. "وعصى آدم ربه"

{وكانوا يعتدون} فيما بينهم وبين الناس. "ولا تعتدوا".

فقوله {ذلك} الأولى يشير إلى حكام العقل والإرادة، أي الشيوخ والملوك. وقوله {ذلك} الأخرى يشير إلى العوام.

...

اشتكى بأنه لا يستطيع فهم الفتوحات المكية وأنه يصيبه صداع كلّما قرأه وسأل عن مخرج لذلك

فقلت: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا". كمّل مجاهدة رغم الصداع.

قبل القراءة. قل "بسم الله الرحمن الرحيم إن ربك هو الفتاح العليم" "السلام عليك يا شيخ محيي الدين ورحمة الله وبركاته"

الشيخ كلامه متداخل. حاول تقسمه إلى فقرات.

...

{فتقبّلها ربّها بقبول حَسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق مَن يشاء بغير حساب}

قال زكريا لها {أنّى لك هذا} ثم قالت هي بعد ذلك "أنّى يكون لي غلام". كلمة "أنّى" تدلّ على عدم معقولية شيء بسبب شيء. مثلاً "أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين" أو كالآيات التي تذكر التوحيد ثم تقول "أنّى يؤفكون" أو "أنّى تُسحرون". فهذه "أنّى" الصحيحة في موضعها. لكن حين يستبعد إنسان وقوع شيء بسبب شيء، لا ضرورة وجودية تمنع من تحققه، فهي في غير موضعها، مثل "أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر" فلا يوجد في الحقيقة ما يمنع ذلك كآدم جاء بدون واسطة بشر أو نشأت الحيوانات بغير واسطة حيوان بدليل أنها بدأت من غير حيوان. الاستغراب ليس حجّة في الحقيقة بنفسه.

{دخل عليها زكريا المحراب} "دخل" يعني أنه مغلق. {المحراب} مكان الحرب، حرب ضدّ ماذا؟ ضد الظلمات، "الذين جاهدوا فينا" هذه الحرب، "لنهدينهم سبلنا" هذا النصر. "الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور". "فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب" فقوله "قائم يصلّي" هو عمل المحاربين لله.

{قال يا مريم أنّى لك هذا} لأنه مغلق ولا أحد معها ولا أحد يدخل عليها، استغرب زكريا ذلك. فهذا أساس الخلوة في الطريقة الإلهية. في موسى هي "واعدنا موسى أربعين ليلة" فهذا أساس خلوة المؤمنين، وفي مريم "دخل عليها زكريا المحراب" و "اتخذ من دونهم حجاباً"، فهذا أساس خلوة المؤمنات. لا إيمان لمن لا خلوة له.

{قالت هو من عند الله إن الله يرزق مَن يشاء بغير حساب} هذه غنيمة الحرب، رزق من عند الله بغير حساب. فلمّا دخلت لله المحراب رزقها الله بغير حساب. فمقصد المحراب محاربة الحساب، يعني محاربة القيود والأسباب، للتلقّي عن الله بغير حساب.

قالت: لاايمان لمن لاخلوه له؟ماذا تقصد بالايمان بهذه العباره.

قلت: نور القلب وتذوق حقيقة الدين.

...

أربع آيات في الشورى في كتاب الله.

الأولى {فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم مَن كان في المهد صبياً}: بعد طرح سؤال على إنسان، يشير إلى الجواب بحسب ما عنده.

الثانية {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إن الله يحبّ المتوكّلين}: الشورى من مقتضى الرحمة واللين وجمع المؤمنين وانتظام أمرهم. بعد العفو والاستغفار والتشاور عليه أن يعزم بحسب مقتضى ما أشاروا به عليه، وإلا لما كان للتشاور معنى. فإن أشار أكثرهم بشيء فعليه أن يعزم عليه ويتوكّل على الله، وإن انقسموا إلى نصفين كانت إشارة النبي حاسمة في حدود ما أشاروا به عليه.

الثالثة {استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون}: فالشورى في أمر الكل بين الكل، لا يستبدّ بها البعض. فهي من خصائص المؤمنين وميّزاتهم كالاستجابة لربهم وإقامة الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله. ترك الشورى العامّة التي لأمر الكل بين الكل مثل ترك الاستجابة لله وترك إقامة الصلاة وترك الإنفاق مما رزقهم الله، يعني تركها كفر بالله وبالدين ونسف لأساسه.

الرابعة {فإن أرادوا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما}: هذه بين الزوجين، التشاور لأنه من خصائص المؤمنين فيدخل حتى بين الأزواج. التراضي قبل التشاور، بالتالي لا إكراه ولا غصب في أساس التشاور، بل كل فرد له حق ورأي وقول حر، وهما سواء في وجوب التراضي وأحقية التشاور، فالتشاور لا يكون إلا بين المتساويين في أصل القيمة الإرادية. فقال {عن تراضٍ منهما} لتأسيس التراضي، ثم {وتشاور} لأن غير الراضي لا يشير حقاً بما في قلبه وبما يريده. فلابد من الحرية الكاملة وعدم الاستبداد مطلقاً حتى يصح التشاور، وإلا دخل الناس في التقية أو في النفاق "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم".

إذن: مبدأ الشورى فعّال بين مريم وقومها، وبين النبي والمؤمنين، وبين المؤمنين وبعضهم البعض، وبين الزوج وزوجه. فهو مبدأ مطلق، يشمل المؤمن وغيره، والمؤمن ورسوله، والمؤمن والمؤمن، والمؤمن وزوجه.

الإيمان يقوم على مبدأ متعالي ومبدأ متجلي. المبدأ المتعالي فيما بين الناس وبين ربهم، وهو التوحيد. والمبدأ المتجلي فيما بين الناس وبين بعضهم البعض، وهو الشورى. فالشورى بين الخلق مثل التوحيد للحق. لا طاعة بلا شورى، كما أنه لا توحيد بلا عقل.

...

الحيوان عقلاني من حيث تصرفاته بالنظر إلى حالته الجسمانية.

الإنسان عقلاني من حيث تصرفاته بالنظر إلى حالته النفسانية.

لا يمكن تفسير أعمال الإنسان فقط بل أصلاً من حيث النظر إلى حالته الجسمانية فقط، فهو غير عقلاني عادةً من هذه الجهة. الحيوان أعقل منه من هذه الناحية. تستطيع التنبؤ بسهولة عادةً بما سيفعله بمعرفة حالته وظروفه الجسمانية. لكن الإنسان لا يمكن التنبؤ بأعماله فقط من هذه الناحية. فالناس بل الإنسان الواحد قد يفعل أموراً متناقضة في أوقات مختلفة انفعالاً لذات الأمر وبالنظر إلى حالته الجسمانية الواحدة، وذلك لتغيّر وتبدّل واختلاف أحواله الذهنية ومزاجه النفساني واعتقاداته وأفكاره ومقاصده وتقلباته الباطنية. الإنسان نفس من فوق الطبيعة، لذلك لا يمكن تفسير أعماله وشؤونه بنحو طبيعي خالص كما يمكن تفسير أعمال الحيوان عادةً. محاولة النظر إلى الإنسان كحيوان، هي محاولة بعض الناس للسيطرة على البعض الآخر وتدجينهم لمصالحهم الخاصة النفسانية والمالية، وهي نظرة باطلة جزماً ولا يستطيع حتى صانعها تبريرها ولا في حق نفسه ولا في حق غيره بالتأكيد إذ بما أنه مثل غيره في الإنسانية فلا يستطيع تطبيق ما يقوله في حق غيره على نفسه وهو يرى أنه أعلى منه وأشرف وغير في النوع أو الكمّ لذلك بالضرورة حتى يبرر هذه النظرة الخاصة لغيره من الناس على أنه مثل الحيوانات أو يجب أن يكونوا مثل الحيوانات، ولم يفلحوا في الماضي ولن يفلحوا أبداً.

...

الكتاب عامل توحيد بين مختلف أولي الألباب. من اسمه، "كتب" يعني الجمع، كالكتيبة من الجند، كذلك الكتاب يجمع الناس من حيث عقولهم ويجعلهم يحيون في عالَم معنوي مشترك، لذلك تغيير الكتب التي يقرأها الناس هي من أحسن الوسائل تغيير الناس. الكتابة تدمير عوالم وصنع عوالم. والذين يشتركون في قراءة كتب، يشتركون في حياة لا يعرفها غيرهم.

...

{أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل}: يزعم البعض أن هذه الآية تدلّ على الصلوات الأربع من الظهر والعصر والمغرب والعشاء بحسب حرف الآية. كلا. الآية قالت {أقم الصلاة} ولم تقل "أقم الصلوات"، فهذا وقت صلاة واحدة {أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل} فهذا وقت واحد أوله {دلوك الشمس} وآخره {غسق الليل}، وهي صلاة واحدة لإفراد {الصلاة}.

...

النموذج التقليدي في العلاقة بين الرجل والمرأة مبني على أربع أمور، ثلاثة علاقات تبادلية، والرابع فصل دائرتين.

العلاقة الأولى: المال مقابل البدن. الرجل يعطيها المال، والمرأة تعطيه بدنها.

العلاقة الثانية: الحماية مقابل الرعاية. الرجل يعطيها الحماية، والمرأة تعطيه الحنان والرعاية.

العلاقة الثالثة: المني مقابل الولد. الرجل يعطيها المني، والمرأة تعطيه الولد.

بعد هذه الثلاثة، يتم فصل الرجل عن المرأة، بحيث يكون الرجال معاً في تجمعاتهم، والنساء معاً في تجمعاتهن، والفرضية هنا هي عدم قابليتهم عموماً للتفاهم مع بعضهم البعض بسبب اختلاف عقولهم وإرادتهم وأبدانهم ومقاصدهم وبقية شؤونهم عموماً، فمن أجل السلامة يتم فصل الدائرتين، فالرجال مع الرجال في الصحبة والكلام، والنساء مع النساء في الصحبة والكلام. ويتم قصر التواصل بينهما على العلاقات التبادلية الثلاثة السابقة الذكر، وما سوى ذلك يكون في أضيق الحدود هذا إن وجد أصلاً.

النموذج الحداثي نسف كل ما مضى وجاء بشيء جديد:

فالمال لم يعد وسيلة شراء البدن. بل يتشاركان في المال كل واحد بحسب استطاعته، ويتراضيان في البدن وينبني الأمر على الشهوة المشتركة والميل المشترك بينهما.

الحماية والعناية مشتركة، والدولة تحمي الكل، وفي الحالات الخاصة الأقوى عضلياً يتصرف، والأسلحة في البيت قد تنفعهما معاً.

إنجاب الأولاد لم يعد أهمّ ما يمثّل مقصد العلاقة، وإن حصل فالرجل بحاجة للمرأة بقدر ما المرأة بحاجة للرجل.

دوائر التواصل يُنظَر فيها إلى مقصد الدائرة وليس إلى جنس أصحابها، فمثلاً، دائرة العمل يكون مقصدها العمل ذاته بغض النظر عن الجنسين، ودائرة التعارف والصحبة كذلك يكون المقصد منها التحاور أو الاستمتاع العام، وهكذا في كل دائرة صار الأمر أكثر تجريداً أو أكثر خارجيةً بمعنى أنه صار عقلياً تجريدياً أو خارجياً موضوعياً مفارقاً من حيث كون الاهتمام اجتماعي ومادي ومفارق للحالة البدنية للأطراف المشتركة فيه.

النمط التقليدي ينظر إلى الإنسان كشيء مادّي، وكموضوع مفارق يتم التصرف فيه بحسب المصلحة.

النمط الحداثي ينظر إلى الإنسان ككائن عقلاني وعاطفي، والمتصرّف فيه هو الأشياء الطبيعية والأدوات الخارجية وليس الإنسان ذاته.

الحرب بين النمطين قائمة، ولا مجال للتعايش بينهما. لأن النمط التقليدي مبني على حصر وحجب الرجل للمرأة عن المال وعن العقل وعن القوة وعن السياسة. فلما استأثر الرجل بهذه الأربعة، صار يعطي منها بالقطّارة للمرأة بعد مساومتها على بدنها مقابل المال، وعلى عنايتها مقابل حماية حياتها وكرامتها، وهكذا. في مجتمع يشير أسباب المال والعقل والقوة والسياسة في المواطنين جميعاً، لابد من انهدام النمط التقليدي للعلاقة بين الرجل والمرأة. فقر وجهل وضعف وذل المرأة في شخصها وفي مجتمعها ضروري لإقامة النمط التقليدي من العلاقات.

...

هذه أقوى حجّة لتعدد الزوجات - ومَن لديه اعتراض عليها ليقدّمه لي :

الرجل مخلوق للعلم وللاشتغال بالأمور المفارقة والغيبية. ويجد سعادته في الكتب.

المرأة مخلوقة للولادة والاشتغال بأمومتها ورعايتها لولدها.

فلمّا كان الرجل في كماله إمام علم، والمرأة في كمالها أمّ. كان هدم رجولية الرجل عبر تملّك امرأة إياه، وهدم نسوية المرأة عبر تملّك رجل لها. حتى لا يحدث هذا الهدم للطرفين من الطرفين، جاء التعدد. حتى لا يملك الرجل امرأة، ولا يملك المرأة رجل، بل يقبل كل واحد على شغله الأصلي، فتشتغل المرأة بأولادها وهم بها فتجد الحبّ الحقيقي والذاتي والخالي عن الاستغلال والهوى، وكذلك يجد الرجل حبّه الحقيقي في تعلّقه بربّه وروحه والاهتمام بكتبه ويكون بعض وقته فقط لزوجه لا كله ولا يتحكم فيه أحد.

ابتغاء المرأة رضى زوجها قد يجعلها تقصّر في أمومتها، وابتغاء الرجل مرضات زوجته قد يجعله يقصّر في إمامته {يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك}.

يكسر أنانية المرأة وحبّ تملّكها للإنسان، اشتراكها في زوج مع غيرها. ويكسر أنانية الرجل وإرادته تملّك امرأة، تشتيت انتباهه بأكثر من امرأة. فبما أن أساس التوحيد أن لا يملك الإنسان إنساناً، بل الكل يكون مملوكاً لله، فلابد من كسر تملّك الرجل للمرأة والمرأة للرجل، مع الإبقاء على العلاقة بينهما لاستمرار النسل. هرباً من تملّك المرأة للرجل بتطرّف وغلو، نشأت الرهبانية. فحيث لا رهبانية، لابد من مخرج آخر.

المرأة حين تصبح أمّاً، يتغيّر تركيزها-إن أحسنت في أمومتها-من زوجها إلى أولادها، إما بالكلية وإما بغالب تركيزها، وإما ببعضه. في جميع الحالات، سيجد الرجل فرقاً بين زوجته ما قبل وما بعد الإنجاب. إن كان موحّداً لا معدداً، فسيجد ألماً في نفسه بسبب ذلك، وسيشعر بالتغير وسيرفضه، وسينشأ عن ذلك إشكالات كثيرة لا حلّ حقيقي لها بل ولا حتى حلّ شكلي لها عادةً. لكن إن كان أصل الرجل الاستقلال بالتعدد، فالقدر الذي سيفقده من الأولى بعد الإنجاب سيجد ما يجبره عند الأخرى، وهكذا.

قد تقول: لكن يبدو أن هذه العلاقة خالية من العاطفة. أقول: ليس بالضرورة، بل قد تكون فيه االعاطفة أقوى وأعمق، تحديداً لأنها حرّة وكل طرف فيها يقوم بما يتناسب مع جوهره وكماله الخاص به، ولا يُطالب شريكه بما لا طاقة له به. فالمرأة التي تريد من زوجها أن يحبّها حباً عاطفياً خالصاً بعد الإنجاب كما كان قبل الإنجاب، تُطالب بمستحيل وهي تعلم ذلك ولا هي نفسها تحسن أن تكون بحسب ما تطلبه منه. كذلك الرجل الذي يطالب المرأة أن تكون عشيقة وأمّاً في نفس الوقت وبنفس القدر، يطلب المستحيل عادةً، وبناء الأحكام لا يكون على خرق العادة بل على العادة.

في التعدد إعطاء مسافة زمنية ومكانية للمرأة لتُقبل على أولادها وعلى نفسها، وترتاح من زوجها ليوم أو لأيام بحسب العدد. وبذلك تجد فرصة لتكون مع زوجها على أحسن حال حين يأتي يومها. في المقابل، الرجل يستطيع أيضاً أن يشتغل بأموره الخاصة ولا يشعر بأنه محكوم من امرأة واحدة. فالتعدد فيه تحرير للرجل من المرأة، وتحرير للمرأة من الرجل، مع بقاء العلاقة قائمة والرعاية من الطرفين حاصلة.

التعليقات: وردت تعليقات كثيرة على هذه المقالة. أذكرها تباعاً إن شاء الله.

١- قالت: لماذا لم يتزوج الامام علي عليه الصلاة السلام في حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام ؟

قلت: اقتداءً بالنبي الذين لم يتزوج على خديجة، لأنه على هو تجلي ثاني للنبي. من هنا تشابه أمور كثيرة بينهما.

أما سبب عدم التزوج على خديجة وفاطمة: فسبب روحاني وسبب تشريعي وسبب نفساني.
أما الروحاني، فلأن خديجة وفاطمة من الكاملين، والكامل لا يُضاف عليه شيء.
أما التشريعي، حتى يكون للمسلمين أسوة في حال التزوج بواحدة أو التعدد.
أما النفساني، لأن التعدد مبني على العدل، وقلب النبي وعلي كان شديد الميل لخديجة وفاطمة فسيكون من الظلم الظاهر للزوجة الثانية إن جاءت.

٢- قال: وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

قلت: سبحان الله، أكتب عن الأمور الإلهية والروحية والعالية النافعة فأجد أكثر الناس لا يبالون. فإذا تكلمنا في العلاقات الزوجية والماديات استيقظ أكثرهم وصاروا يتفاعلون. فُتح لي بالأمس في هذا المعنى (وإن تدعوهم إلى الهُدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون).

٣-قال :وش قاعد تخثرد انت

قلت: كلامي ليس للبهائم لكنه للأوادم الذين يقرأون ويفكّرون ثم إن اعترضوا يشرحون سبب اعتراضهم. فإما تشرح سبب اعتراضك وإما اسكت.

قال: عن الغلط ! وبكبر راسي بس صدق انت واصل مرحلة خلاص تحتاج توقف تفكير ... واصلا واضح لي من شكلك وش وضعك لكن ما حبيت احكم لين اتأكد.

قلت: قلت لك تعبيرك يدل على دماغ كأدمغة الأنعام. تحكم بالشكل ! سبحان الله "وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون". وما أظنك إلا وهابي، فاذهب وانظر في وجوه شيوخك وأمراءك وقارنها حتى تعرف تتعلم الحكم بالشكل سوّد الله وجهك.

قالت: اي نعم ولو انك ما بتقول ذا الشي بس جميع البشر عندهم الشي هذا والشكل طريقة اللبس الشعر الخ.. من المظاهر الخارجيه لها مدلولات كبيره جدا عن الشخص لكن ما حبيت اكون سطحي وارمي حكم من ظاهرك لكن بعد متابعه طويله لك اتضح لي انك مطابق تماما لنظرتي الاوليه عنك

قلت: وأنا سأحكم من شكلك (غير الظاهر) واسم المزيف لحسابك، بأنك شخص نكرة. لأنك منكر الشكل ومنكر الاسم. وسنرى أينا أصدق في حكمه على الآخر يوم يقوم الحساب.

قال: انربط لساني من مدى محدودية طريقتك بالتفكير اللي بقدر اقوله لا تعليق فقط.

قلت: وهذا أول العقاب فأبشر "ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون". وسترى الباقي من ربي بسبب عنادك بإذن الله قريباً.

قالت: عزالله تخريف بعينه وعلمه.

قلت: "فسوف تعلمون. مَن يأتيه عذاب يخزيه"

٤-قالت: المعاشره اصلا أمر حي وغير مرهون بطبيعه واحده لذلك التعدد تجده امر طبيعي واساسا الرجل ان لم يعدد في الظاهر يأتيه خمول في روحه ويستمر في التعدد بخيالاته وصوره الذهنيه ويعيش متحسر لعجزه عن معاشرة النساء. فالامر منطقي جدا. والمنطقي ايضا ان المرأه اذا انشغلت وانفتح قلبها بالعلم والوحي لايمكن ان تسعى لتملك رجل بل ربما

لو كان عندها زوج وهذا نموذج نادر لاتعلم اصلا اين يبيت كل ليله ولاينشغل فكرها بذلك وهذا لايمنع انها وقت معاشرته تكون في كامل تواصلها ورضاها لان الرضى في المعاشره مرهون بروحها وحضورها في وعيها اتصالها بالعلم طبيعته يبدد لها محدوديه الاعراف والمرفوضات المتوازيه حول الرجل كزوج. وفي الغالب من ابحاثي المتواضعه المراه لو دخلت في سلك العلم الرباني لاتميل للزواج اصلا على عكس الرجل في هذا الامر.

قلت: شرحتي في بيانك القاعدة والاستثناء، الله يزيدك نعمة.

٥-قالت: كلامك هنا تقول ان امومة المرأه اهم من العلم والدراسه وتعلقها بربها ؟

قلت: هي تجد تعلقها بربها عبر عملها الأمومي كما أن الرجل السليم يجد تعلقه بربه عبر عمله العلمي "وقل رب زدني علما"

قالت: الايه الله يكلم الرجال فيها ! يعني بما اني أمرأه اروح افقس عيال اصرف وانشغل فيهم اول مره تتفق مع الواهبين بشي اختلف معك بنقطه ذي اشوف الامومه شي ثانوي والعلم اهم.

قلت: أولاً ليس كل ما يقوله الوهابية غلط. كلامي ليس معهم ولا ضدهم هنا. التعدد أمر قام به النبي وكثير من العلماء والأولياء عبر القرون. فبعد أن رددت على الحجج التي تُقدَّم عادة للتعدد، أردت ابحث عن حجة قوية له وعرضها للنقاش لأرى مدى قوتها وضعفها، فكتبت ما تقرأونه. أنا شخصياً لا أمارس ولا أتحمّل حالياً غير التوحّد لا التعدد، لكن ليس كل ما نقوله بشرح عقولنا لابد من ممارسته بأنفسنا، فأنا أُحلل أكل اللحوم لكن أميل إلى عدم أكلها، واضح الفرق؟

ثانياً، الأمومة ليست (أروح افقس عيال اصرف وانشغل فيهم)، الأمومة أعلى من هذا الوصف الدواجني. لذلك الرجل قد يُخلَق عقيماً فتنقطع أبوته، لكن المرأة قد تكون أمّا بالولادة أو بالرضاعة أو بالتربية، فلم يسمح الله للطبيعة أن تحرم المرأة من فرصة الأمومة بشكل ما.

ثالثاً، نعم العلم أهم شيء، وكلامي عن حال أغلب الناس، وليس عن الاستثناءات. انظري إلى ردة فعلك وفعل غيرك هنا حتى تعرفي أن أكثركن لا تملك شرط العلم الأكبر وهو التجرّد العاطفي في النظر إلى الفكرة، فوراً العاطفة غلبت والتحيّز ظهر. العلم ليس بمجرد الدعوى، أكثر النساء في الواقع المشهود لا يميلون إلى حياة العقل التجريدية والأمور المتعالية والغيبية. الأكثر وليس الكل.

أخيراً، لا تعارض جوهري بين الأمومة والعلم كما أنه لا تعارض بين الأبوة والعلم الإلهي. لذلك كثرت في أمتنا النساء العالمات، بل معلّمات العلماء والأولياء من الرجال. لكن الاعتراض المطلق على التعدد اعتراض على الشريعة، وهذا ليس من العلم في شيء. فتأملي.

قالت: انا تعليقي عن حصرك المرأه في الولاده والانشغال بأمومتها والرجل له العلم مو عن التعدد لان انا اعلم في اشياء مالي علم فيها ولا خبره بما اني ماتزوجت واسمع اي رأي ومو بضروره اقتنع فيه ولو كان العكس وقلت ان العلم لنساء والرجال لهم العمل وتأمين الحمايه والرزق بتكون في تعليقات استنكار من الرجال ومثل ماقلت كلام قابل لنقاش وذكري للوهابيين لانهم هم الي يربطون العلم بجنس معين عموما وضحت الفكر.

قلت: ١-يستحيل أن أحصر العلم في جنس، كيف ونحن نتكلم عن فاطمة وأنها مثال للرجال والنساء معاً في أمر العلم والروحانية. ومريم في القرءان مَثَل على قلب محمد. هذا مفروغ منه.

٢-للإنصاف، أنا لا أعلم للوهابية قولاً يحصر العلم في جنس، والدليل وجود شيخات من الوهابية.

٣-من انحراف الرجال عن رجولتهم اعتبارهم قيمتهم فقط في الحماية والرزق، فأنا ضد هذا أيضاً. لذلك لم أذكر لا للرجل ولا للمرأة اعتباراً من جهة الحماية والرزق والذي قد يكون مشتركاً بينهما. أنا رأيت الرجل أم من حيث توليد الكتب ورعايتها، والمرأة أم من حيث توليد الإنسان ورعايته. والإنسان كتاب حي ناطق، والكتاب إنسان جامد صامت. والكتب يولدها الإنسان الذي تلده المرأة، بالتالي المرأة أم كل الكتب الموجودة، أو جَدّة الكتب. بالتالي، لا يوجد تحقير والعياذ بالله للمرأة في كلامي، بل بالعكس، كلامي يبيّن أن أمومة المرأة من هذه الجهة أعلى من أمومة الرجل للكتب. وإن كان من جهة أخرى العكس صحيح، لأن ولادة الطبيعة أقل من ولادة العقل. فكل واحد له فضل من جهة، فالفضل الحقيقي لله فقط، وبين المرأة والرجل استواء في الفضل من جهتين مختلفتين متكاملتين.

٤-بالمناسبة، لاحظت فعلاً اعتراض كثير من النساء على أمور، قبل الزواج وقبل الولادة ! لكن بعد ذلك وتجربته، سترى مدى قيمة ما عرضته هنا.

قالت: انا حضرت مجلس قراءة سورة مريم ومجالسك ولا سمعتك حصرت العلم للرجل علشان كذا استغربت وناقشت علشان يوضح الموضوع الحمدالله.

٦-قالت: لا التعدد تحرير للرجل والمرأة .. أتوقع كلهم عند هذا الموضوع تفكيرهم واحد .. !!طب والمرأة الي لا ترغب بأن تكون أماً هذي وش وضعه بالضبط؟

قلت: هذه ليست امرأة سليمة النفس. مثل الرجل الذي لا يرغب أن يكون عالِماً فهو ليس رجل حقيقي.

٧-قالت: مع احترامي لعقلك تنميط ساذج

قلت: لشرح أو الصمت. ماذا تقصدين بالضبط وأين محل اعتراضك حتى نفهمك ونتكلم معك. ساحتي ليست للتعليقات المبهمة، هنا ساحة تفصيل وبيان.

قالت: مللنا من التنميط والقوالب وتبعاتهم على البشر في الصعيد المادي والنفسي والروحي قولبة الجنسين ووضع سمات واصول لكل منهم ويتوقع منهم اتباعها كتجسيد النساء في الانجاب والاحتواء والرجال في العلوم والخلق والابداع والبناء يعطي نتائج سلبيه لأنها قوالب غير واقعيه و مرفوضه خصوصًا ان البشر تحكمهم اديان واقتصاد وايدلوجيات المنتصرين في حقب سابقه كلها تحد المرأه عن امور ترغبها ولكنها مرفوضه فتبتعد عن الساحه وتتكيف مع ماهو مسموح لها ويتوارث هذا الامر جيل بعد جيل حتى اصبح حقيقة الوجود الانثوي ! والرجل ينطبق عليه الامر ايضًا ولكن بحريه ومساحه اكبر.

قلت: نعم فعلاً، للأنماط الاجتماعية أثر. لكن هذا لا علاقة جوهرية له بكلامي، لأن الرجل أيضاً تم تنميطه عموماً في الماضي والحاضر إلى حد كبير، على أنه مجرّد مصدر لجلب المال والحماية للأسرة، وقلّة فقط من الرجال مَن سُمح لهم بأن يكونوا من أصحاب العلم. فكلامي خارج عن هذا كلّه. حاولي فهم ما أقوله، وليس مجرّد إلقاء ما في ذهنك من أفكار.

٨-قالت: تخبيص وهبد

قلت: الشرح أو الصمت. اشرح سبب اعتراضك أو لا تملأ فراغ التعليقات بألفاظ فارغة.

٩-قال: بدري عليهم

قلت: "معذرة إلى ربهم"

١٠- قالت: هذي حجة من منظور ضيق لتفسير وشرح اية التعدد.. بس الاية لها وجه اخر اعمق واعظم.. خلقنا من نفس واحده والتعلق بالرب وكتبه مشترك بين الجنسين. اذا عندك شرح اطول واعمق ياليت تكتبه ممكن اسأنا الفهم.

قلت: أولاً،هذا أوسع منظور وأعمقه لقضية التعدد في الإسلام بحسب ما رأيته. كل ما ذكروه غيرها قد بيّنته في مقالة سابقة ورددت عليه وبيّنت ضعفه.

ثانياً، إن كان لديك منظور أعمق فتفضلي به حتى نقارن بينه وبين هذا. فقولك (الآية لها وجه آخر أعمق وأعظم) يدل على معرفتك به فتكرمينا به.
ثالثاً، نعم الخلق من نفس واحدة والاشتراك الأصلي حق، لكن هذا لا يتعارض مع ما ذكرته. الواقع غير النظرية والاحتمالات. أنت امرأة وترين النساء، كم واحدة فعلاً ممن تعيش حياتها متمركزة حول أمر العلم الإلهي؟ أو حتى تجد ميلاً لهذا الأمر، بالأخص إذا كانت أمّاً وليس قبل ذلك، وليس هروباً من مسؤوليات الأمومة. نعم المرأة قد تكون أكمل في علمها وعقلها وروحانيتها من مليون رجل، لكن كلامنا عن القاعدة العامة وأساس الكمال. هذا بالمناسبة حتى كلام فيلسوف مثل نيتشه الذي اعتبر أيضاً أن الأمومة جوهر المرأة وبدونه تفقد شيئاً لا تستطيع تعويضه بغيره وتنشأ لديها اضطرابات كثيرة.

١١-قال: أولا، عندي تعليق عن إن المرأة تحب أن تسمع ما ينصفها فقط، وأما ما دون ذلك فهتكون زي ماهو واضح في التعليقات وتثور حتى وإن كان حق. حتى لا يبقى شيء في نفسي ليس أكثر.
ثانياً، قلت "يكسر أنانية المرأة وحبّ تملّكها للإنسان، اشتراكها في زوج مع غيرها. ويكسر أنانية الرجل وإرادته تملّك امرأة، تشتيت انتباهه بأكثر من امرأة." يجوز أيضا القول "يكسر أنانية الرجل وحب تملكه المرأة اشتراكه في زوج مع غيره، ويكسر أنانية المرأة، تشتيت إنتباهها بأكثر من رجل" ولو كانت مش مقبولة فمش مقبول قولك -في المنشور اللى تكلمت فيه عن التعدد للرجل دون المرأة- "فلا يوجد علة سيأتون بها إلا ويوجد نظيرها في المرأة بشكل أو بآخر". هذا السبب "كسر الأنانية" غير مقبول بالنسبة لي أنا على الأقل.
ثالثا، أن نحصر أن "الرجل مخلوق للعلم وللاشتغال بالأمور المفارقة والغيبية. ويجد سعادته في الكتب. والمرأة مخلوقة للولادة والاشتغال بأمومتها ورعايتها لولدها." هذا لا أفهمه، لأن هناك نساء كثر انشغلوا للعلم وللاشتغال بالامور المفارقة، لكن يرد عليَّ هذا ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها "وابنها"﴾ فنعم الأنثى مخلوقة للولادة. ولو أخذنا رمزية السماء والأرض واعتبار الرجل رمز للسماء والمرأة رمز الأرض فالمرأة قابلة ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ فالفراش متعدد الأشكال والأنواع والألوان ﴿والسماء بناء﴾ واحدة ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ العلم وما "في" السماء من أشياء ﴿فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ الولد والشهوة... إلخ أو كما أجبتني أنت مرة عن سؤال القوامة "أن العقل هو مثال الرجل والإرادة هي مثال المرأة"، العقل واحد والإرادة متعددة، في كتاب النية والصدق والإخلاص من إحياء علوم الدين صنف النيات (الإرادة) في أربعة أو يزيد لا اتذكر ولكن المراد أن الإرادة متعددة

والعقل واحد. أظن هذا التفسير مقبول لي. وكون الرجل مخلوق للعلم ﴿وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا﴾ ﴿ثم اجتبه ربه﴾ اجتباه وحده دون زوجه رغم أنهما اكلا منها وهبطا جميعا إلا أن الجباية له وحده وإلا كان يكفيه ﴿فتاب عليه﴾ دون الإجتباء. فلست اختلف في ذلك إلا من ناحية العرض لا المضمون هذا عرض يرضيني أنا بغض النظر عن مدى منطقيته أو حجيته.
الجزء الأخير متفق معك فيه.

قلت: أتفق معاك عموماً في الكل.

وأعجبني اعتراضك بعكس القضية، يعني أن تُكسر أنانية الرجل بتعدد الأزواج، وتشتيت المرأة بتعدد الأزواج كذلك.
لكن تعال نفكر:
١-المرأة إذا كثر أزواجها، عموماً ولا أتحدث عن الاستثناء، سيكثر أولادها. فستدوخ بسبب الانشغال بأزواجها من طرف وبأولادها من طرف.
٢-السؤال: كقاعدة عامة، هل المرأة التي تريد تعدد الأزواج تفعل ذلك من باب التشبه بالرجل النمطي الذي يعدد أزواجه أو عشيقاته، أو هو أمر تريده من ذاتها؟ يعني هل هو من باب "أريد مثل ما عند الرجل"، أو من باب "أريده وفقط"؟ سؤال للتأمل.
٣-التشابه بين الحالتين لا يكفي للأخذ بالأمر، بسبب تعارض ذلك مع أمور أخرى. لا أقل مخالفة الشريعة. لكن ما ذكرته أنا محاولة لتبرير الشريعة.
٤-المشهود والمعروف أن الرجل عامّة أكثر ميلاً للتعدد، ولو كان ما كان في دينه وثقافته. لكن المرأة عامّة تميل إلى التوحد في الزوج. والناس أكثر تقبلاً لرجل معدد ولو عشيقات منهم لتقبل امرأة معددة للعشاق أو الأزواج. نعم هذه من باب الاحتجاج بالأمر الواقع، وفيه ما فيه، لكنه أيضاً يكشف عن أمر ما في النفوس، بغض النظر عن الدين والقديم، هذا حاصل حتى الآن غرباً وشرقاً.
٥-في المنشور الذي ذكرته حضرتك أنا قلت (فلا يوجد علّة سيأتون بها)، نعم (سيأتون)، وليس "سآتي" أنا بها. قصدت أصحاب تلك النظرة الخاصة. محاولتي هنا بيان حجة مؤسسة على نظرة أُخرى مختلفة.

قال: عن النقطة الأولى، "سيكثر أولادها فستدوخ..." نعم إن سلمنا أن المرأة خلقت للأمومة -والذي سلمت أنا بذلك سلفا- فنعم ستدوخ وستُقصر وسترهق، فإن منعها من التعدد إن نظرنا من هذه الجهة رحمة بها وأيضا في النقطة التي تليها رحمة أيضا ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ و﴿لا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ ولا أدري هل استشهادي بهاتين الآيتين في محله ام لا ولكن كتبت ما حضر لعقلي.

عن النقطة الثانية "هل المرأة التي تريد تعدد الأزواج تفعل ذلك من باب التشبه بالرجل النمطي..."

كقاعدة عامة، من وجهة نظري، اعتراضها لأنها تريد مثله، وكذا في مسألة الميراث تجدهم يصارعون ويتناطحون على جملة ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ ويبينوا أن الإسلام ظلم المرأة وما شابه، فالأمر ليس لحق مسلوب يريدونه ولكن لعقدة نقص "اشمعنا الرجالة" ولكن للإجابة نسأل انثى والتي بدروها -على ما أظن- لن تجيب إلا بالترهات إن أنكرت أن السبب "اشمعنا الراجل".

النقطة الثالثة مش فاهمها، أي حالتين ؟

عن الرابعة "المشهود والمعروف أن الرجل عامة أكثر ميلاً للتعدد..." اشرحلي النقطة دي لو سمحت، أكثر ميلا للتعدد ازاي؟ ايه قرائن ده؟ وهل إطلاق أن المرأة لا تحبذ التعدد في الزوج منطقي؟. وقبول المجتمع نعم لا يقبل من المرأة قديما أشياء كثيرة ولو قبلها اليوم فبسبب النظام الأقتصادي الحداثي، ولا أظن قبول التعدد لها مقبول اجتماعيا، إلا وعلى حسب ما اطلعت أن القانون التونسي منع التعدد للرجال وأحله للنساء وهناك امرأة جمعت بينهم فعلا.

عن الخامسة "قصدت أصحاب تلك النظرة الخاصة محاولتي هنا بيان حجة مؤسسة على نظرة أخرى مختلفة." عارف إن هناك اختلاف، ممكن توضح لي الفرق بينهم؟ أنا أرى أن حجتك مبنية على محاولة للبحث ومعرفة الحقيقة مجردة دون إعتبار لأي شيء آخر، فسرت على دماغي أنا أسف، ولكن وضحلي وجهة نظرك في البحث في هذا الموضوع وفي العموم.

إنما حجتهم لا أدري مبنية على ماذا، وصراحة لا تهمني كثيرا. ولكن عندي فضول.

قلت: النقطة الثالثة، قصدت التشابه الصوري بين رجل يعدد نساء وامرأة تعدد رجال، يوجد تشابه من هذه الجهة نعم من حيث التعدد، لكن يختلف الأمر من حيثيات أخرى، لأن الشريعة مثلاً حسب التقليد لم يرد فيها جواز التعدد للمرأة لكن ورد جوازه للرجل. وكذلك توجد اختلافات أخرى، مثل قضية الانجاب، والقضايا النفسانية مثل اختلاف نفسية الرجل والمرأة عموماً، وهكذا.

١٢-قالت: وصلنا للفضاء ولسه فيه فلاسفه اهم مواضيعهم(التعدد) يا أخي عدد والله محد ماسكك بس ما اشوفك ذكرت ( ان تعدلو بينهم) وهذا شرط واضح في القران ما قال ( ان تتعلموا) قال ان تعدلو كمل فلسفتك بصورة على الاقل تكون سليمه كلياً وإلا فأختار موضوع اعمق وانفع للناس مثلا كتفسير ايات سورة الكهف وغيرها.

قلت: أوّلاً، قولك (وصلنا الفضاء): حضرتك والثقافة التي تمثلينها لم تصلوا الفضاء، الذين وصلوا الفضاء هم الأمريكان والغرب. ثانياً، ليس كل سؤال لا يعجبك وموضوع لا تحبينه لاختلافك مع نتيجته يجوز الرد عليه بـ(وصلنا الفضاء). ثالثاً، وصلنا الفضاء ومع ذلك لا تزال السعودية وبقية البلاد العربية تعيش تحت حكومات الظلام والظلم التي تشبه قرون التخلّف والمرض والجهل، وهلمّ جرّاً، ولا نرى اعتراضاً على هذا الأمر. رابعاً، يستطيع متخلّف آخر أن يعترض عليّ إذا اشتغلت بتفسير سورة الكهف ويقول لي "يا خي وصلنا الفضاء وأنت لسّا بتتكلّم في سورة الكهف وخرافات النوم في الكهوف لمئات السنين ! اختار موضوع أنفع للناس !" واضح؟ خامساً، الناس الذين وصلوا الفضاء اليوم مشغولون بقضية الجنس والأمور الجنسية، لا يزالون إلى الآن يتصارعون على حقوق المثليين والتحول الجنسي وأنواع الجنس والحرية الجنسية وما إلى ذلك، فحتى الذين وصلوا الفضاء لا يزالون يتكلّمون في الجنس وشؤونه. أخيراً، وهو أهمّ ما ذكرتيه ولو اكتفيتي به لكان خيراً، نعم في القرءآن آية "لن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم" وهذه سأذكرها في مقالة قادمة إن شاء الله عن أقوى حجّة ضد التعدد، فكلامي هنا لإثارة العقول للتفكير في الموضوع بنحو أعمق، وليس عن اختياراتي الشخصية حتى تقولي لي :"عدد والله محد مساكك" وصلنا الفضاء وأنت لا تزالي تتكلّمي بهذه الطريقة السانجة ! ليس كل فكرة مطروحة تعني فكرة معمول بها، يوجد شيء اسمه تفكير، نعم أنا أعلم أنه أمر غريب عن البيئة التي نشأ فيها أكثر الناس، لكن كلامي محاولة لبعثه بنحو أعمق وأدقّ بحسب استطاعتي والله الموفق. وأما قولك أن القرءآن ما قال "أن تتعلموا" فهو استدلال خاطئ، لأن القرءآن جاء فيه الأمر بالعلم وعلاقته بالرجل والمرأة لكن بالرجل بشكل أساسي في آيات كثيرة، فيبدو أن حضرتك من بيئة تلوثت بالوهابية التي تجعل كل جاهل يتجرأ على الكلام في كتاب الله والاستدلال الخاطئ به بدون رقابة ضمير ولا تفكير مستنير. حين لا يعجبك كلام، انتقدي بأدب وبتفكير، واسألي، ثم إذا لم يعجبك قولي ما تشائين.

١٣-قال: وهذا عند العرب فقط

قلت: لا.

١٤-قالت: الحجه التي أستعرضتها ارى أنها حجه عقلانيه جدا وربما تكون مثاليه قد يتفق معك اصحاب النظره العقلانيه، الانسان بالنسبه لي هو انسان عاطفي شعوري، لاحاجه

للتعدد لنفي الشرك مع الله، بل قد تكون صورة الزوج المُكتفي بزوجه واحده هي تجلي لمعنى الوحدانيه وعدم الأشراك.. تحياتي لك...

قلت: الوحدانية لله وليست للإنسان

نعم، لأن الوحدانية تعني تصوير الله في الإنسان فهي نوع من الشرك إذن أليس كذلك

بالمناسبة: هذه حجة أنا أبحث عن مَن يستطيع الرد عليها، وليس بالضرورة لأني شخصياً أفضّل التعدد. أنا بالكاد أجد وقتاً وجهداً لواحدة. لكن الحجة العقلانية لابد من ردها بالعقل بغض النظر عن الاختيار الشخصي.

١٥-قالت: على الي بشوفو في الحياة و خبرتي البسيطه انو النساء بينحرق قلبهم وبينكسر لمن ازواجهم يعددو و يتزوجو عليهم. هل الله بيرضى على كسر و حرق قلب المرأة ؟ ٩٥٪ من النساء ما بيرضو التعدد فيلو كسرة نفس وجرح عميق للمرأة صعب التشافي منو. في العلاقات المرأة بتنهار و بتنكسر لمن يخونها الرجل، فما بالك في الزواج.

قلت: طيب الخمسة في المائة الباقية الي ما بينكسر قلبهم، عادي التعدد؟ هذا السؤال الأول. السؤال الثاني: ليس بينكسر قلبهم؟ ايش سبب الكسر فعلاً؟

قالت: الخمسه في المية ممكن ما عندهم مشكله يعدد غالبا اتربو في بيئة رجالهم كلهم يعددو امها و اخواتها و خالاتها رجالهم بيعددو، ف بالنسبه لها امر طبيعي. ٩٠ ال في الميه الباقين متوقعين و يبغو زوجهم يكون مكتفي بيهم ووفي فيهم فقط، الزوج عدد وانكسر قلبها و حصل عكس ما هي تبغا او كانت تتوقع.

قلت: بالنسبة للأول، ليست البيئة فقط هي السبب. بدليل أننا نرى الآن في الغرب مثلاً، امرأة لها أكثر من صاحب جنسي، سواء كانت علاقة ملتزمة أو غير ملتزمة، بالرغم من عدم وجود التعدد رسمياً عندهم. كذلك ليس بالضرورة أن نرى كل امرأة تقبل التعدد تكون من بيئة فيها تعدد. بالنسبة للثاني: لماذا "مكتفي بيها"؟ فماذا لو كانت مشغولة مع أولادها وبنفسها وشؤونها، ولم تعد هي كافية له أصلاً، لا نفسياً ولا جسمانياً، ولها هموم أخرى غيره بحيث تصبح غير كافية له، فهل حينها يجوز؟ كذلك ما معنى "وفي ليها"، لاحظي التعبيرات، كفاية ووفاء، ألا ترين أنها تعبيرات تملّك وتقييد، نوع من الأنانية والحصرية؟

قالت: بس الزواج مبني على رجل و مرأة ينتج منهم اولاد، و لو كل الرجال عددو الfamily unit بيخرب. المرأة م تتزوج الا لو حتقدر وتحاول قدر المستطاع انها توفق بين اولادها و زوجها. مو كل النساء بيهملو ازواجهم وينسوهم و يركزو فقط ع الاطفال.

قلت: كلامنا ليس عن تعديد كل الرجال أو أكثرهم أو بعضهم، كلامنا عن مبدأ التعدد نفسه، هل له مبرر مطلقاً أم لا، وفي أي نطاق يكون مبرراً. هذا أوّلاً. ثانياً، العائلة لن تخرب بالتعدد بالضرورة، جدّي من أمّي كانت متزوج من خمسة لا من أربعة فقط ولم تخرب عائلته. وكذلك يا كثر الذين عددوا وعائلتهم قائمة بل وحاكمة، مثل عائلة عبد العزيز في السعودية مثلاً. ثم النبي نفسه وأصحابه وكثير من الناس عددوا عبر التاريخ، ولم تخرب عوائلهم، بل استمرّت إلى الآن. نعم، ليس كل امرأة ستهمل زوجها إهمالاً كاملاً، فليس كلامنا عن هذا، كلامنا عن المرأة التي يتشتت انتباهها لدرجة تجعل حياة الرجل مقرفة ومزعجة ولا معنى لها، أو لا أقلّ تصبح ثقلاً عليه بحيث لا يستطيع أن يجد ما كان يجده من قبل، فهل يصارع أولاده على اهتمام أمّهم، أم يجد مخرجاً آخراً؟ وبعد ذلك، "ليس كل النساء يهملوا أزواجهم"، نعم، لكن بعضهم يفعلن هذا، وبطريقة فجّة وقاسية ليس عن سوء نية بالضرورة، لكن بسبب كثرة المشاغل والهموم والالتفات لأمور الأطفال ونحو ذلك، وحين يصبح لك أولاد إن شاء الله وتتزوجي ستعرفي أكثر ما أقوله الآن، ولاحظت أن الكثير ممن اعترضن على كلامي هنا غير متزوجات على ما يبدو ولا أولاد لهن، فكلامهن عاطفي نظري مثالي فقط. واللطيف أن من أهمّ مَن وافقني، امرأة متزوجة وعندها ولد، وامرأة تريد الخروج إلى النمط "الأنثوي" حسب تعبيرها في الحياة. طبعاً هذا لا يعني أن كل رجل لابد أن يعدد حتى يسلم بيته، وهذا لا يعني أني أنا شخصياً أقبل ذلك، سأكتب مقالة لاحقاً إن شاء الله عن أقوى حجّة عندي ضدّ التعدد، لكني أريد سماع اعتراض على هذه الحجْة قوي ومقبول، ولذلك أجادل عنه. مع ملاحظة، أن التنبه إلى ما أقوله هنا سينفع الرجل والمرأة حتى في حالة عدم التعدد، لأنهم سيعرفوا جوانب مهمة من أمور النفس والعلاقة لابد من المحافظة عليها حتى لا يدخلوا في الحاجة إلى التعدد أصلاً أو الافتراق بالكلية.

.................................................................انتهى والحمد لله